

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد.

وفي هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه ، وكان سبب ذلك أن ملك خوارزم جمان ضعيفاً فغلبه أخوه خرزاد(1) على أمره وكان أصغر منه ، وكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتاً أو اختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فإذا قيل للملك ، قال : لا أقوى به وهو مغتاض عليه ، فلما طال ذلك عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلفها إليه واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرزبته على ذلك ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة أنه يريد الصغد وسار من مرو ، وجمع خوارزمشاه أجناده ودهاقنته وقال : إن قتيبة يريد الصغد وليس يغازيكم فهلماوا تنتعم في ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب فقال خوارزمشاه لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نقاتله قال : لكني لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكن أصرفه بشيء أؤديه إليه فأجابوه إلى ذلك ، فسار خوارزمشاه فنزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهي أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فأرسل إليه خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ، ومتاع ، على أن يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك ، وقيل : صالحه على مائة ألف رأس ، ثم بغث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وكان يغازي خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم بأربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة ، وسلم قتيبة إلى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة .

(1) في الطبري "خرزاد" بذال معجمة .

ذكر فتح سمرقند

فلما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام إليه المجشر(أ) بن مزاحم السلمي فقال له

سراً : إن أردت الصغد يوماً من الدهر فالآن فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وإنما بينك وبينهم عشرة أيام ، فقال : أشار عليك بهذا أحد؟ قال : لا، قال : فسمعه منك أحد؟ قال : لا، قال : والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك ، فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الأثقال إلى مرو فسار يومه ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد وأكتم الأخبار فاني في الأثر ، ففعل عبد الرحمن ما أمره ، وخطب قتيبة الناس وقال لهم : إن الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم وإني أرجو أن يكون خوارزم ، والصغد كقريظة والنضير ، ثم سار فأتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوارزم ، وبخارى ، فقاتلوه شهراً من وجه واحد وهم محصورون ؛ وخاف أهل الصغد طول الحصار فكتبوا إلى ملك الشاش ، وخاقان ، واخشاد فرغانة أن العرب إن ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم ومهما كان عندكم من قوه قايدلوها ، فنظروا وقالوا : إنما نؤتى من سفلتنا فإنهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك : وأهل النجدة من أبناء المرازية ، والأساورة ، والأبطال وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فإنه مشغول عنه بحصار سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا ، وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة ، وقيل : ستمائة من أهل النجدة والشجاعة وأعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير إلى عدوهم ، فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين ، فلما مض نصف الليل جاءهم عدوهم ، فلما رأوا صالحاً حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك ، قال بعضهم : إنا لنقاتلهم إذا رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سراً فضربت ضربة أعجبتني فقلت : كيف ترى بامي وأبي ؟ قال : اسكت فض الله فاك قال : فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد وحوينا أسلابهم وسلاحهم واحتزنا رؤوسهم ، وأسرنا منهم أسرى فسالناهم عن قتلنا فقالوا : ما قتلتم إلا ابن ملك أو عظيماً أو بطلاً.

(أ) في الطبري "المجسر" بالسین المهملة .

كان الرجل يعد بمائة رجل وكتبنا أسماءهم على آذانهم ، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والأسرى ، والخيول ، ومناطق الذهب ، والسلاح ، قال : واكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة ووطننت أنه رأى منهم مثل الذي رأى مني ، ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ، ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثلم ثلثة فقام عليها رجل فشم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فأعطاه قتيبة عشرة آلاف ، وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كأنما يناجي نفسه : حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان ؟ أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية ، فانصرف ذلك الرجل فقال لأصحابه : كم من نفس تموت غداً وأخبر الخبر ، فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال ، وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلثة المدينة فجعلوا الترس على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا ، فأرسل الصغد إلى قتيبة فقالوا له : انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً فقال قتيبة : لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلثة ، وقيل : بل قال قتيبة : جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف قارس وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم مقاتل فيني فيها مسجداً ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج ، فلما تم الصلح وأخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فدخل ، المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل إلى الصغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجاً منها ولست أخذ منكم إلا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها .

وقيل : إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف قارس ، وبيوت النيران ، وحلية الأصنام فقبض ذلك ، وأتي بالأصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرق ، فجاءه غوزك فقال : إن شكرت على واجب لا تتعرض لهذه الأصنام فإن منها أصناماً من أحرقها هلك فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال ، وأصاب بالصغد جارية من ولد يزجرد فأرسلها إلى الحجاج فأرسلها الحجاج إلى الوليد فولدت له . يزيد بن الوليد ، وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل .

وقيل : إن أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها ، وقد

أمر قتيبة يومئذ بسرير فابرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته ، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردهم إلى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبة فاتاه في عدة من أصحابه ، فلما بعد استوهب منه سمرقند وقال للملك : انتقل عنها فلم نجد بدأ من طاعته ، وتلا قتيبة قوله تعالى : { وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى } (1) وحكى عن الذي أرسله قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند قال : فأرسلني الحجاج إلى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت المسجد فإذا إلى جنبي رجل ضير فسألني من أين أنت ؟ فقلت : من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افنتحتموها إلا غدراً وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلبون بني أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجراً حجراً ، فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا لأعدى العيرين لأنه فتح سمرقند ، وخوارزم في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادي عيرين ؛ فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال : يا نهار أين قولك :

أَلَا دَهَبَ الْغَرُّ الْمَقْرَبُ لِلْغَيِّ وَمَاتَ النَّدَى وَالْجَوْدُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ

أَقَامَا بَمَرِّ الرُّودِ رَهَنَ صَرِيحِهِ فَقَدَ عُيْبًا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

أَفْغَرُّ هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قَالَ لَا هَذَا أَحْسَنُ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ : وَمَا كَانَ مُدُّ كُنَا وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَابِنِ

مُسْلِمٍ
أَعْمَ لِأَهْلِ الشَّرْكِ (2) هَيْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسَمًا
بَعْدَ مَقْسَمِ

قال : وقال الشعراء في ذلك ، فقال الكميث من قصيدة :
كَانَتْ سَمْرَقَنْدٌ أَحْقَابًا يَمَانِيَةً فَالْيَوْمَ تَنْسِبُهَا قَيْسِيَّةٌ
مُضَرٌ

وقال كعب الأشقري ، وقيل : رجل من جعفي (3):
(1) النجم 50 .

(2) في الطبري " لأهل الترك " .

(3) جعفي بن سعد العشرة أوجي باليمن .

كُلُّ يَوْمٍ يَخْوِي قَتِيْبَةً تَهْبَأُ وَيَزِيْدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيْدًا ۞
 بِأَهْلِي قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَقَارِقُ كَرَّ ۞
 سُودًا ۞
 دَوَّحَ الصُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ الصَّغْدَ بِالْعَرَاءِ ۞
 فَعُوْدًا ۞
 فَوَلِيْدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مَوْجَعٌ يُبْكِي الْوَلِيْدَا (1) ۞

ثم رجع قتيبة إلى مرو وكان أهل خراسان يقولون : إن قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدرًا ، وكان عاملاً على خوارزم إياس بن عبدالله على حربها وكان ضعيفاً ؛ وكان على خراجها عبيدالله بن أبي عبيدالله مولى مسلم ، فاستضعف أهل خوارزم إياساً فجمعوا له ، فكتب عبيدالله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة أخاه عبدالله عاملاً وأمره أن يضرب إياساً ، وحيان النبطي مائة مائة ويحلقهما ، لملما قرب عبدالله من خوارزم أرسل إلى إياس فأنذره فتنحى وقدم عبدالله وأخذ حيان فضربه وحلقه ، ثم وجه قتيبة الجنود إلى خوارزم مع المغيرة بن عبدالله فبلغهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا لا يغنيك (2) فهرب إلى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية ، وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور .

ذكر فتح طليطلة من الأندلس

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار إليه في رجب منها واستخلف على إفريقية ابنه عبدالله بن موسى ، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضي عنه وقبل عذره وسيره إلى طليطلة - وهي من عظام بلاد الأندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً - ففتحها وأصاب فيها مائة سليمان بن داود عليه السلام ، وفيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به ، قلت : لم يزد على هذا ، وقد ذكرت في سنة اثنتين وتسعين من فتح الأندلس ودخول موسى بن نصير إلى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة إلى إعادته إلا أن أبا جعفر قد ذكر أن موسى هو الذي سير طارقاً وهو بالأندلس ففتح مدينة طليطلة ، والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما لقدم ذكره .

(1) ذكر الطبري بعد هذه الأبيات بيتاً وهو :

كلما حل بلدة أو أتاهها تركت خيلها بها أخذوداً

(2) في الطبري : " لا نعينك " .

ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

قيل : وفي هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة ، وكان سبب ذلك أن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ؛ فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد إن من عندي من المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ، ومكة وإن ذلك وهن ، فكتب إليه الوليد يستشيريه فيمن يوليه المدينة ، ومكة ، فأشار عليه بخالد بن عبدالله ، وعثمان بن حيان ، فولى خالداً مكة ، وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما . فلما خرج عمر من المدينة قال : إني أخاف أن أكون ممن نفته المدينة يعني بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " تنفي خبثها لا وكان عزله عنها في شعبان ، ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرهاً وتهدد من أنزل عراقياً أو اجره داراً واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من إنزال عراقي ، وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ إلى مكة ، والمدينة ، وقيل : إنما استعمل على المدينة عثمان بن حيان ، وقد تقدم سنة إحدى وتسعين ولاية خالد مكة في قول بعضهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سَبَسْطِيَّةَ (أ) ، والمرزبانين ، وطرسوس ، وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة ، وفيها غزا مسلمة الروم أيضاً ففتح ماسيسة (2) وحصن الحديد ، وغزاة من ناحية ملطية ، وفيها أجذب أهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا .
وفيها كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز قبل أن يعزله يأمره بضرب حُيب بن عبدالله بن الزبير ويصب على رأسه ماء بارداً فضربه خمسين سوطاً وصب عليه ماءً بارداً في يوم شاتٍ ووقفه على باب المسجد فمات من يومه .
(1) سَبَسْطِيَّة : مدينة قرب سَمَسَاطِ مَحْسُوبَةٍ من أعمالها على أعلى الفرات ذات سور ، والمشهور أنها بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء عليهما السلام . وهي من أعمال نابلس .
(2) في الطبري : " ماسة " .

(خبيب) بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان .

وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد ، وكان على الأمصار من تقدم ذكرهم إلا المدينة فإن عاملها عثمان بن حيان قدمها في شوال لليلتين بقيتا منه ، وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبدالله في سنة تسع وثمانين وفي سنة إحدى وتسعين قد ذكرنا أنه وليها هذه السنة .

وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو العالية البراء - واسمه زياد بن فيروز- وكان مولى لأعرابية من بني رياح وليس بأبي العالية الرياحي ذاك كان موته سنة تسعين ، وفيها مات بلال بن أبي الدرداء الأنصاري قاضي دمشق .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر قتل سعيد بن جبير

قيل : وفي هذه السنة قتل سعيد بن جبير ، وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله ، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع ، فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد إلى أصبهان فكتب الحجاج إلى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك ، فأرسل إلى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقتة ، فسار عنه فأتى أذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج إلى مكة فكان بها هو وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحداً أسماءهم ، فلما ولي خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد : إنه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستحييني ما كتب الله لي ، فلما قدم خالد مكة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ، ومجاهدا وطلق بن حبيب فأرسلهم إليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج ، وكان سيرهم مع حرسيين فانطق أحدهما لحاجة وبقي الآخر فقال لسعيد - وقد استيقظ من نومه ليلاً - : يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك إني رأيت في منامي فقيل لي : ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك فأبى سعيد ، فرأى ذلك الحرسي مثل تلك الرؤيا ثلاثاً ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل ، فقدموا به الكوفة فأنزل في داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره ، فلما نظرت إلى القيد في رجله بكت .

ثم أدخلوه على الحجاج فلما أتى به قال : لعن الله ابن النصرانية - يعني خالداً وكان هو أرسله - أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ألم أشركك في إمامتي ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى .

قال : فما أخرجك علي ؟ قال : إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطيء مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ، ثم عاوده في شيء فقال : إنما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال : يا سعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك قال : بلى ؟ قال : ثم قدمت الكوفة والياً فجددت البيعة فأخذت بيعتك لأمير المؤمنين ثانية ؟ قال : بلى قال : فتنكت بيعتين لأمير المؤمنين وتوفي بواحدة للحائك بن الحائك والله لأقتلنك قال : إني إذا لسعيد كما سئمني أمي فأمر به فضربت رقبتة فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطئة ، فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً أفصح بمرّة ولم يفصح بمرتين ، فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول : قيودنا قيودنا فظنوا أنه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود ، وكان الحجاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله فيم قتلتي ؟ فيقول : مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير .

ذكر غزوة الشاش وفرغانة

في هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وحوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم إلى الشاش وتوجه هو إلى فرغانة فأتى حُجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مراراً كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ، ثم ان قتيبة أتى كاشان مدينة قرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها وانصرف إلى مرو ، وقال سبحان يذكر قتالهم بخجندة :

فَسَلِ الْقَوَارِسَ فِي حُجْنَدَةَ تَحْتَ مَرْهَفَةَ

العوالي

هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا هَزِمُوا وَأَقْدَمُ فِي

القتال (1)

أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ العافي (2) وأصبرُ

للعوالي

هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعَ قَيْسٍ كُلِّهَا صَحْمُ النَّوَالِ

وَقَصَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي

الحجاج الخوالي

وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ

تَمَّتْ مَرُوءَةٌ كُمْ وَنَاعَى عِرْكَمُ غُلْبِ الْجِبَالِ

(1) في الطبري " قتالي "

(2) في الطبري " العاتي " .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية ، وفيها غزا ، عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاة ، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية ، وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوماً فخربت البلاد وكان عظم ذلك في أنطاكية .

وفيهما افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند ، وتوفي في هذه السنة علي بن الحسين في أولها ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، واستقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب ، وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك ، وقيل : عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله ، وبالمدينة عثمان بن حيان ، وبمصر قرّة بن شريك ، وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر غزوة الشاش

قيل : وفي هذه السنة بعث الحجاج جيشاً من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال منها فغمّه ذلك وتمثل يقول :

لَعَمْرِي لِنُعَمِ الْمُرءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانِ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ
الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَى لِي أَمَلِكُ (١) حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ
مَوْتِكَ طَائِلُ

ورجع إلى مرو وتفرق الناس ، فاتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فأتهم مغازيك (2) وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلائك والثغر الذي أنت فيه .

ذكر وفاة الحجاج بن يوسف

قيل : إن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك فقال : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرّة بمصر ، وعثمان لا بالمدينة ، وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس فلم يمض غير ، قليل حتى توفي الحجاج ، وقرّة بن شريك في شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان ، وخالد واستجاب الله لعمر ، وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد ابن أبيه حيث كتب إلى معاوية يقول له : قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة - يعرض بامارة الحجاز- فقال ابن عمر لما بلغه ذلك : اللهم أرحنا من يمين زياد وأرح أهل العراق من شماله ، فكان أول خبر جاءه موت زياد وكانت وفاه الحجاج في شوال سنة (١) في الطبري : " فإن تحمى لا أمل حياتي " .
(2) في الطبري " فالمم مغازيك " .

خمس وتسعين ، وقيل : كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة ، وقيل : ثلاث وخمسون سنة ، وكانت ولايته العراق عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبدالله بن الحجاج ، واستخلف على حرب الكوفة ، والبصرة يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن مسلم فأقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحداً من عمال الحجاج.

ذكر نسبه وشيء من سيرته

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن

مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي ، قال قتبية بن مسلم : خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، إنه بيت الغربية ، وبيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان فقال في خطبته : ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبر أو ذكره إلا بكى ، وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس ، وأنس ، وقال ابن عوف : كنت إذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن أفصح ، وقال عبد الملك بن عمير : قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه ، فقام رجل فقال : أعطني على بلائي قال : وما بلاؤك ؟ قال : قتلت الحسين قال : فكيف قتلته ؟ قال : دسرت بالرمح دسراً وهبرته بالسيف هبراً وما أشركت معي في قتله أحداً قال : فإنك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد ثم قال : اخرج ولم يعطه شيئاً .

قيل : وكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بقتل أسلم بن عبد البكري بشيء

بلغه عنه فأحضره الحجاج فقال : أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا } (1) الآية والذي بلغه عني باطل فاكتب إلى أمير المؤمنين أني أعول أربعاً وعشرين امرأة وهن بالباب فأحضرهن فهذه أمه ، وهذه عمته ، وزوجته ، وابنته ، وكان في آخرهن جارية قاربَ عشر سنين فقال لها : من أنت منه ؟ قالت : ابنته أصلح الله الأمير ثم أنشأت تقول :

٦٤ أجاج لم تشهد مقام بناته . وعاته يندبته الليل
أجمعا

(1) الحجرات 6.

أحجاج لم تقتل به إن قتلته ثماناً وعشراً واثنتين وأربعاً

أحجاج من هذا يقوم مقامه علينا فمهلاً ان تزدنا نضعضعا

أحجاج إما أن تجود بنعمة علينا وإما أن تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت الدهر عليكم ولا زدتك نضعضعا ، وكتب

إلى عبد الملك بخبر الرجل والجارية ، فكتب إليه عبد الملك إن كان الأمر كما ذكرت فأحسن صلته وتفقد الجارية ففعل .

وقال عاصم بن بهدلة : سمعت الحجاج يقول : اتقوا الله ما استطعتم هذا والله

مثنوية واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ليس فيه مثنوية ، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من

هذا حنت لي دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد- يعني ابن مسعود- إلا ضربت عنقه ولا حكنها من المصحف ولو

بضلع خنزير ، وقد ذكر ذلك عند الأعمش فقال : وأنا سمعته يقول فقلت في نفسي : لأقرأنها على رغم أنفك ، قال

الأوزاعي : قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، قال منصور : سألنا إبراهيم الشجاعي

عن الحجاج فقال : ألم يقل الله { ألا لعنة الله على الظالمين } (1)

قال الشافعي : بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج : ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخباً منها

شيئاً قال : يا أمير المؤمنين أنا لجوج حقود فقال له عبد الملك : إذا بينك وبين إبليس نسب فقال : إن الشيطان إذا رأني

سألمني ، قال الحسن : سمعت علياً على المنبر يقول : اللهم ائمتهم فخانوني ونصحتهم فغشوني ، اللهم فسلط عليهم

غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول : الزبال مفجر الأنهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها ،

قال الحسن : هذه والله صفة الحجاج ، قال حبيب بن أبي ثابت : قال علي لرجل لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له : يا أمير

المؤمنين ما فتى ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين

سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حش يرتكبها يقتل بمن

أطاعه من عصاه ، وقيل : أحصِيَ من تجتا، الحجاج صبراً فكانوا
مائة ألف وعشرين
(1)هود 18.

ألفاً ، وقيل : إن الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في مشيته فقال رجل لخالد : من هذا ؟ قال خالد : بَخِ بَخِ هذا عمرو بن العاص فسمعهما الحجاج فرجع وقال : وَاللَّهِ مَا يسرنني أن العاص ولدني ولكني ابن الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش ، وأنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمر ويضمرك الكفر ثم ولي وهو يقول : بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف في بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد .

ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع إلى الرور ، والبغور وكان قد فتحهما فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ، وسأله أهل سرشت وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر ، ثم أتى محمد الكيرج فخرج إليه دهر ، فقاتله فانهزم دهر وهرب ، وقيل : بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ، قال الشاعر :

نحن قتلنا ذاهراً ودوهرأً والخيل تردى منسراً
فمنسراً

ومات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فأخذ محمداً وقيده وحمله إلى العراق فقال محمد متمثلاً :

أضاعوني وأفيتي أضاعوا ليوم كريبه وسدادي
تغري

فبكى أهل السند على محمد ، فلما وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال :

فلئن تويث بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلاً
مغلولاً

فلرب قينة فارس قد رعنها ولرب قرن قد تركت
قتيلاً

وقال :

ولو كنت أجمعت الفرار لوطنك إناث أعدت للوغي
وذكور

وما دخلتُ خيلُ السكاسكِ أرضنا ولا كان من عُكِّ علي
أمير
وما كنتُ للعبدِ المزمى تابعاً فيا لكَ دهراً بالكرام
عُتور

فعدبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم ، وكان
الحجاج قتل آدم أخا
صالح وكان يرى رأي الخوارج ، وقال حمزة بن بيض الحنفي
يرثي محمداً :
ان المروءة والسماحة والندی لمحمد بن القاسم بن
محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قُزبَ ذلك سوددًا من
مؤلد

وقال آخر :

ساس الرجال لسبع عشر حجة ولداته إذ ذاك في أشغال
ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر
يوماً ، واستعمل
سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها
وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ورجع جيشبة بن زاهر إلى
برهمنا باز فنزل حبيب على شاطيء مهرا ن فأعطاه أهل الرور
الطاعة وحارب قوماً فظفر بهم ، ثم مات سليمان واستخلف
عمر بن عبد العزيز فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام
والطاعة على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم
فأسلم جيشبة والملوك وتسموا بأسماء العرب ، وكان عمرو بن
مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند
فظفر ، ثم إن الجنيد بن عبد الرحمن ولي السند أيام هشام بن
عبد الملك فأتى الجنيد شط مهرا ن فمنعه جيشبة بن زاهر
العبور وأرسل إليه أني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي
ولست أمنك فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً على خراج بلاده ثم
ترادا وكفر جيشبة وحارب ، وقيل : انه لم يحارب ولكن الجنيد
تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعاً وأعد السفن واستعد
للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا في بطيحة فأخذ
جيشبة أسيراً وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد ، وهرب صصة
بن زاهر وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم
يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله ، وغزا الجنيد
الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ كشبا وصك بها سور المدينة
فثلمه ودخلها فقتل وسبي ، روجه العمال إلى المرمذ ، والمندل
، ودهنج وبرونج ، وكان الجنيد يقول : القتل في الجزع اكبر منه
في الصبر .

ورجه جيشاً إلى أزين فأغاروا عليها وحرقوا ريضها ، وفتح
البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل
مثلها ، وولى الجنيد تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ومات
قريباً من الديبل ، وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند
ورفضوا

مرايهم ، ثم ولى الحكم بن عوام الكلبي لا وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين ، وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض إليه عظيم الأمور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهي التي ينزلها الأمراء ، واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته ، وكان خالد القسري يقول : واعجباً وليت فتى العرب - يعني تميمًا - فرفض وترك ووليت أبخل العرب فرضي به ، ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك إلى أن جاءت الدولة المباركة العباسية ، ونحن نذكر إن شاء الله أيام المأمون بقية أخبار السند .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقله وغيرها .

وفيهما فتح آخر الهند إلا الكيرج ، والمندل .
وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .
وفيهما قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو ألف رجل معه ، وفيها ولد المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وحج بالناس هذه السنة بشير بن الوليد بن عبد الملك ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم ، وفيها مات أبو عثمان النهدي - اسمه عبد الرحمن بن مل - وكان عمره مائة وثلاثين سنة ، وقيل في موته غير ذلك ، وفيها مات سعد بن أياس أبو عمرو الشيباني وله مائة وعشرون سنة .

وفي إمارة الحجاج مات سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذه السنة مات سالم بن أبي الجعد ، وفيها مات جعفر بن عمرو بن أمية الضمري - وهو أخو عبدالله بن مروان من الرضاة ، وفي إمارة الحجاج قتل أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي قتله الخوارج .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر

وفي هذه السنة غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه ومضى إلى فرغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر- وهي أدنى مدائن الصين - وبعث جيشاً مع كثير بن فلان إلى كاشغر ، فغنم وسبى سبياً فختم أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلى رجلا شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال ، وألسن ، وبأس وعقل ، وصلاح ، فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم : إذا دخلتم عليه فاعلموه أنني قد حلفت أنني لا أنصرف حتى أطا بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم ، فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليهم دعاهم ملك الصين فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل وتطيّبوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه. فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا : رأينا قوماً ما هم إلا نساء ما بقي منا أحد إلا انتشر ما عنده . فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخبز والمطارف وغدوا عليه ، فلما دخلوا قيل لهم : ارجعوا ، وقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك .

فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض ، والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ، فنظر اليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة . فلما دنوا ركزوا رماحهم وأقبلوا مشمرين فقبل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم وأخذوا

رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء . فلما أمسى بعث اليهم أن ابعثوا إلي زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة بن مُشْمَرَج فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في يدي بمنزلة البيضة في كفي وإني سأئلكم عن أمر فان لم تصدقوني قتلتمكم قال سَلْ قال : لِمَ صنعتُم بزيكم الأول اليوم الأول والثاني والثالث ما صنعتُم ؟ قال : أما زينا اليوم الأول فلباسنا في أهلنا ، وأما اليوم الثاني فزينا إذا أممنا أمراءنا ، وأما الثالث فزينا لعدونا قال : ما أحسن ما دبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فإني قد عرفت قلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم ، قالوا : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وأخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا أجلاً إذا حضرت فأكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه . وقد حلف أن لا ينصرف حتى يخطأ أرضكم وبختم ملوككم وتعطوا الجزية ، فقال : فإننا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطؤه ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاهما ، فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فاحسن ، فقدموا على قتيبة فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمان ووردهم ووطىء التراب فقال سواده بن عبد الملك السلولي :

لا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصَّيْنِ إِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ ۞^٧

كَسَرُوا الْجَفُونَ عَلَى الْقَدَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَى الْكَرِيمِ ۞^٨

هبيرة بن مُشْمَرَج

(1) أَدَّى رَسَالَتَكَ الَّتِي اسْتَدْعَيْتَهُ (2) فَاتَاكَ (3) مِنْ حَنْثِ ۞^٩

اليمين بمخرج

فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سواده فقال :

لله دُرٌّ (4) هبيرة بن مُشْمَرَجِ مَاذَا تَصَقَّرَ مِنْ نَدَى ۞^٧

وَجَمَالِ

وَبُدِيهِ تَعْنَى (5) بِهَا أَبْنَاؤُهَا عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَاهِدِ ۞^٨

الأقوال

(1) أورد الطبري بعد هذين السنين بيتاً وهو :

لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْخْتَمِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَرَهَائِنِ دُفَعَتْ ۞^٧

يَحْمَلِ سَمْرَجِ

- (2) في الطبري " استرعيتة "
(3) في الطبري " وأتاك "
(4) في الطبري " لله قبر "
(5) في الطبري " يعيا بها "

كان الربيع إذا السنونُ تَتَابَعَتْ والليث عند تَكْعُكُ
 الأبطال
 فَسَقَى (1) بقرية لم حيثُ أمسى قبرُهُ غُرَيْرُحْنٍ بِمُسْبِلِ
 هَطَالِ
 بَكَتِ الجيادُ الصافناتُ لَقَعِدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُتَقَفِي
 عَسَّالِ
 وبكته شُعْتٌ لم يَجِدَنَّ مُوَاسِيًا في العامِ ذِي السَّوَاتِ
 والامْحَالِ

ووصل الخبر إلى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد وكان
 قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرساً من
 جياد الخيل واثني عشر هجيناً فتحدر إلى وقت الغزو (2) فإذا
 تاهب للغزو ضمورها وحمل عليها الطلائع ، وكان يجعل الطلائع
 فرسان الناس وأشرفهم ومعهم من العجم من يستنصحه ،
 وإذا بعث طليعة أمر بلوح فَنُقِشَ ثم شَقَّهُ بنصفين وجعل شَقَّهُ
 عنده ويعطي نصفه الطليعة ويأمرهم أن يدفنوه في موضع
 يصفه لهم من شجرة أو مخاضة أو غيرهما ثم يبعث بعد الطليعة
 من يستخرجه ليعلم أصدقت الطليعة أم لا .
 وفيها غزا بشر بن الوليد الشاتية ورجع وقد مات الوليد .

ذكر موت الوليد بن عبد الملك

وفي النصف من جُمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن
 عبد الملك في قول جميعهم ، وكانت خلافته تسع سنين وسبعة
 أشهر ، وقيل : تسع سنين وثمانية أشهر ، وقيل : واحد عشر
 شهراً ، وكانت وفاته بدير مُرَّان ودفن خارج الباب الصغير
 وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكان عمره اثنتين وأربعين
 سنة وستة أشهر ، وقيل : كان عمره خمسا وأربعين سنة ،
 وقيل : ستاً وأربعين سنة وأشهرًا ، وقيل : تسعاً وأربعين وخلف
 تسعة عشر ابناً (3) ، وكان دميماً يتبخر في مشيته ، وكان سائل
 الأنف جداً ف قيل

(1) في الطبري " فسقت بقرية " .

(2) في الطبري فيقام عليها الى وقت الغزو" .

(3) وهم على ما ذكرهم الطبري . عبد العزيز . ومحمد .
 والعباس . وإبراهيم وتمام . وخالد . وعبد الرحمن . ومبشر .
 ومسرور . وأبو عبيدة . وصدقة . ومنصور . ومروان . وعنسية ،
 وعمر . وروح وبشر . ويزيد ويحيى . أم عبد العزيز ومحمد أم

البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية
وسائرهم لأمهات شتى .

٦ ٥ فقدت الوليد وأنفأ له كمثل الفصيل بدا أن يبولا

ولما دُلِّيَ في جنازته جمعت ركبته إلى عنقه فقال ابنه : أعاش
أبي ؟ فقال له
عمر بن عبد العزيز- وكان فيمن دفنه - : عوجل والله أبوك
واتعظ به عمر .

ذكر بعض سيرة الوليد

كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ، بنى المساجد
مسجد دمشق ،

ومسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام ، والمسجد
الأقصى ، ووضع المنابر ، وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال
الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً ، وفتح في
ولايته فتوحاً عظيماً منها الأندلس ، وكاشغر ، والهند ، وكان يمر
بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقلٍ فيقول : يَكْمُ هذه ؟
فيقول : بفلس فيقول : زد فيها.

وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع فكان الناس يلتقون
في زمانه فيسأل

بعضهم بعضاً عن البناء ، وكان سليمان صاحب طعام ونكاح
فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام ، وكان
عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة فكان الناس يسأل بعضهم
بعضاً عن الخير ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وكم
تصوم من الشهر ؟ ومرض الوليد مرضه قبل وفاته وأغمي عليه
فبقي يومه ذلك كأنه ميت فبكوا عليه ، وسارت البرد بموته
فاسترجع الحجاج وشد في يده حبلاً إلى اسطوانة وقال : اللهم
لا تسلط علي من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل
منيته قبله ، فبينما هو كذلك يدعو إذ قدم عليه البريد بإقامته ،
ولما أفاق الوليد قال : ما أحد أشد سروراً بعافيتي من الحجاج
ثم لم يمت حتى قفل الحجاج عليه ، وكان الوليد أراد أن يخلع
أخاه سليمان ويباع لولده عبد العزيز فأبى سليمان فكتب إلى
عماله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجاج ، وقتيبة ،
وخواص من الناس ، فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم
عليه فأبطأ فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه وأخرج خيمه
فمات قبل أن يسير إليه ، ولما أراد أن يبني مسجد دمشق كان
فيه كنيسة فهدمها وبنها مسجداً فلما

ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه ذلك فقال لهم عمر : إن ما
كان خارج المدينة فتح عنوة ونحن نرد عليكم كنيستكم ونهدم .

كنيسة توما فإنها فتحت عنوة وبنيها مسجداً ، فقالوا : بل ندع
لكم هذا ودعوا كنيسة توما ، وكان الوليد لجاناً لا يحسن النحو
دخل

عليه إعرابي فمت اليه بصهر بينه وبين ، قرابته فقال له الوليد : من خنتك ؟ - بفتح النون - وطن الاعرابي أنه يريد الختان فقال : بيض الأطباء فقال له سليمان : إنما يريد أميو المؤمنين من خنتك ؟ وضم النون فقال الاعرابي : نعم فلان وذكر خنته ، وعاتبه أبوه علي ذلك وقال : انه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل منه يوم دخل فقال عبد الملك : قد أعذر ، قيل: إنه لما ولي الخلافة كان يختم القران في كل ثلاث ، ، جان يقرأ في رمضان كل يوم ختمة، وخطب يوماً فقال : يا ليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز : عليك وأراحتنا منك .

ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته

وفي هذه السنة بوع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه الوليد وهو بالرملة .
وفيها عزل سليمان بن الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين من رمضان واستعمل عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . وكان عثمان قد عزم على أن يجلد أبا بكر ويحلق لحيته من الغد ، فلما كان الليل جاء البريد إلى أبي بكر بتأميره وعزل عثمان وحده وأن يقيده ، وفيها عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق واستعمل يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره بقتل بني عقيل وبسط العذاب عليهم - وهم أهل الحجاج - فكان يعذبهم ويولي عذابهم عبد الملك بن المهلب ، وكان يزيد بن المهلب قد استعمل أخاه زيادا على حرب عثمان .

ذكر مقتل قتبية

قيل : وفي هذه السنة قتل قتبية بن مسلم الباهلي بخراسان ، وكان سبب قتله ان الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدله ابنه عبد العزيز فأجابه إلى ذلك الحجاج ، وقتبية على ما تقدم ، فلما مات الوليد وولي سليمان خافه قتبية وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان فكتب قتبية إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك ، والوليد وإنه له على مثل ذلك ان لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه بفتوحه ونكايته وعظم

قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعظم صولته فيهم ويذم أهل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه وبعث الكتب مع رجل من باهلة فقال له : ادفع الكتاب الأول إليه فإن كان يزيد حاضراً فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثاني فان قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثالث ، فان قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين ، فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب فقرأه وألقاه إلى يزيد فدفع إليه الكتاب الآخر فقرأه وألقاه إلى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه وختمه وأمسك بيده.

وقيل : كان في الكتاب الثالث لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمّني لأخلعك ولأملأنها عليك رجالاً وخيلاً ، ثم أمر سليمان برسول قتيبة فأنزل ثم أحضره ليلاً فأعطاه دنائير جائزته وأعطاه عهد قتيبة على خراسان وستر معه رسوياً بذلك ، فلما كانا بخلوان بلغهما خلع قتيبة فرجع رسول سليمان ، وكان قتيبة لما هم بخلع سليمان استشار اخوته فقال له أخوه عبد الرحمن : أقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوماً إلى مرو وسر حتى تنزل سمرقند وقل لمن معك : من أحب المقام فله المراسلة ومن أراد الانصراف فغير مستكره فلا يقيم عندك إلا مناصح ولا يختلف عليك ، وقال له أخوه عبدالله : اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجلان ، فخلع سليمان مكانه ودعا الناس إلى خلعه وذكر أثره فيهم وسوء أثر من تقدمه فلم يجبه أحد فغضب وقال : لا أعز الله مات نصرتم ثم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرننا ، يا أهل السافلة ، ولا أقول يا أهل العالية ، أو باش الصدقة جمعتمكم كما تجمع أبل الصدقة من كل أوب ، يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب والبخل بأي يومكم تفخرون بيوم حربكم أو بيوم سلمكم ، يا أصحاب مسيلمة يا بني ذميم ولا أقول : تميم يا أهل الجور(ا) والقصف كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح يا معشر عبد القيس الفساة تبدلتم بتأيير النخل أعنة الخيل ، يا معشر الأزدي تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل ، إن هذا بدعة في الاسلام الأعراب وما الأعراب لعنة الله عليهم ، يا كناسة المصريين جمعتمكم من منابت الشيخ ، والقيصوم . ومنابت الفلفل تركبون البقر ، والخُمُر ، فلما جمعتمكم قلت : كيت (1) في الطبري " يا أهل الخور " .

وكيت ، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه والله لأعضبنكم غضب السلم (1) إن حول الصليان (2) لزمزمة ، يا أهل خراسان تغدرون من وليكم يزيد بن مروان كأي بأمير جاءكم فغلبكم على فيئكم وظلالكم ارموا غرضكم القصي حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئيتكم ؟ يا أهل خراسان انسبونني تجدوني عراقي الام ، والمولد ، والرأي ، والهوى ، والدين وقد أصبحتم فيما ترون من الأمن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وامن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على العافية واسألوه الشكر والمزيد ، ثم نزل فدخل بيته فأتاه أهله وقالوا : ما رأيناك كالיום قط ولاموه ، فقال : لما تكلمت فلم يُجبي أحد غضبت فلم أدر ما قلت ، وغضب الناس وكرهوا خلع سليمان فأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه ، وكان أول من تكلم الأزدي فاتوا حصين بن المنذر- بصاد معجمة - فقالوا : إن هذا قد دعا إلى خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا وقد شتمنا فما ترى ؟ فقال : إن مضر بخراسان كثيرة وتميم أكثرها وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر فإن أخرجتموهم منه أعانوا قتيبة فأجابوه إلى ذلك وقالوا : من ترى من تميم ؟ قال : لا أرى غير وكيع فقال حيان النبطي مولى بني شيبان : إن أحداً يتولى هذا غير وكيع ليصلى بحره ويبدل دمه ويتعرض للقتل فإن قدم أمير أخذه بما جنى فانه لا ينظر في عاقبة وله عشيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته إذ صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين الضبي فمشى الناس بعضهم إلى بعض سرا ، وقيل لقتيبة : ليس يفسد أمر الناس الا حيان فأراد أن يغتاله - وكان حيان يلاطف خدم الولاة(3) فدعا قتيبة رجلاً فأمره بقتل حيان ، وسمع بعض الخدم فأتى حيان فاخبره فلما جاء رسوله يدعوه تمارض ، وأتى الناس وكيعاً وسألوه أن يلي أمرهم ففعل وبخراسان يومئذ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف ورئيسهم حصين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حصين ، ومن عبد القيس أربعة آلاف وعليهم عبدالله بن علوان ، ومن الأزدي عشرة آلاف وعليهم عبدالله بن حوزان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحر ، والموالي

(1) في الطبري " لأعضبنكم غضب السلمة " .

(2) الصليان بصاد مشددة مكسورة فلام مشددة مكسورة فباء مثناة من تحت فألف فنون نبت تحب الخيل أكله .

(3) في الطيري " حشم الولاة ، وحشم الرجل خاصته الذين
ينضون له أو يغصب هولهم من أهل وعبيد .

سبعة آلاف عليهم حيان - وهو من الديلم ، وقيل : من خراسان وإنما قيل له : نبطي للكنته ، فأرسل حيان إلى وكيع إن أنا كفت عنك وأعتك أتجعل لي الجانب الشرقي من نهر بلخ خواجه ما دمت حيا وما دمت أميراً ؟ قال : نعم ، فقال حيان للعميم : هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ففعلوا فبايعوا وكيعاً سراً .

وقيل لقتيبة ، إن الناس يبايعون وكيعاً فدس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع

فبايعه سراً فظهر لقتيبة أمره ، فأرسل يدعو فوجده قد طلى رجله بمغرة وعلق على رأسه حرزاً وعنده رجلان يرقيان رجله فقال للرسول : قد ترى ما برجلي ، فرجع فأفي قتيبة فأعاده إليه يقول له : لتأتيني محمولاً قال : لا أستطيع ، فقال قتيبة لصاحب شرطته : انطلق إلى وكيع فأتني به فإن أبي فاضرب عنقه ووجهه معه خيلاً ، وقيل : أرسل إليه شعبة بن ظهير التميمي فقال له وكيع : يا ابن ظهير البث قليلاً تلحق الكتائب وليس سلاحه ونادى في الناس فاتوه وركب فرسه وخرج فتلقاه رجل فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد قال : ما اسمك ؟ قال : ضرغامة قال : أين من ؟ قال : ابن ليث فأعطاه رايته ، وقيل : كانت مع عقبة بن شهاب المازني وأتاه الناس ارسالاً من كل وجه فتقدم بهم وهو يقول :

٦٦ قَرَمَ إِذَا حُمِلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيْفَ (١) لَهَا
وَالْحَزِيْمُ

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص أصحابه وثقاته منهم إياس بن بهس بن عمرو- وهو ابن عم قتيبة فأمر قتيبة رجلاً فنادى أين بنو عامر ؟ فقال له محقر بن جزء العلاني (2) - وهو قيسي أيضاً وكان قتيبة قد جفاهم - نادهم حيث وضعتهم قال قتيبة : ناد اذكركم الله والرحم قال : محقر أنت قطعتهما قال : ناد لكم العقبي (3) قال : محقر لا أفاء لنا الله إذن (4) فقال قتيبة عند ذلك :

٦٦ يَا نَفْسَ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلْمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفَضُولِ
الْعَيْشِ (5) أَقْرَانًا

- (1) الشراسيف جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع .
- (2) في الطبري : "محقر بن جزء الكلبي" .
- (3) في الطبري : " ناد لكم العتبي" .
- (4) في الطبري : " لا أقالنا الله إذا" .

(5) في الطبري : " القوم " .

ودعا ببردون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه حتى أعيأ فلما رأى ذلك عاد إلى سريرته فجلس عليه وقال : دعوه إن هذا أمر يُراد . وجاء حيان النبطي في العجم وقتيبة واجدٌ عليه فقال عبدالله أخو قتيبة لحيان :

احمل عليهم فقال حيان : لم يَأ 4 نُ بعدُ . فقال عبدالله : ناولني قوسي فقال حيان : ليس هذا بيوم قوس ، وقال حيان لابنه : إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم إليّ فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع وكبروا ، فبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بني ضبة ، وقيل : من بلعم فأصاب رأسه فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضع في مصلاه وجلس قتيبة عنده ساعة ، وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخو قتيبة نحوهم فرماه أهل السوق والغوغاء فقتلوه ؛ وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة فقال له قتيبة : أنج نفسك فقال : بئس ما جزيتك إذا وقد أطعمتني الجردق والبستني النرمق (1) ، وجاء الناس حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح قتيبة جراحات كثيرة ، فقال جهم بن زحر بن قيس لسعد : انزل فحز رأسه فنزل سعد فشق الفسطاط واحتز رأسه ، وقتل معه من أهله إخوته عبد الرحمن ، وعبدالله ، وصالح ، وحصين ، وعبد الكريم بنو مسلم ، وقتل كثير ابنه ، وقيل : قتل عبد الكريم يقزوين ، وكان عدة من قتل مع قتيبة من أهل بيته أحد عشر رجلاً ، ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه أخواله وكانت أمه الغبراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة القيسية ، فلما قتل قتيبة سعد وكيع المنبر فقال : مثلي ومثل قتيبة كما قال الأول : من يئك العير يئك نياكا ، أراد قتيبة قتلي وأنا قتال :

قد جربوني ثم جربوني مهن غلوتين ومن المئتين
حتى إذا شبت وشيوني خلوا عناني وتكبوني
أنا أبو مطرف ثم قال :
أنا ابن خندف تميمي قبائلها بالصالحات وعمي قيس
عيلانا

(1) الجردق : الرغيق (معرب) والزمق : اللبن .

ثم أخذ بلحيته فقال :

٦٦ شيخ إذا حُمِّلَ مكروهةً شدَّ الشَّراسيفَ لها

والحَزِيمُ

والله لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن ، إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أعلى أسعاركم ، والله ليصيرن القفيز بأربعة دراهم أو لأصلبنيه ، صلوا على نبيكم ، ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقيل له : إن الأزد أخذته فخرج وكيع مشهراً وقال : والله الذي لا إله إلا هو لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسي معه ، فقال له حضين : أسكن يا أبا مطرف فإنك تؤتى به وذهب حضين إلى الأزد وهو سيدهم فأمرهم بتسليم الرأس إلى وكيع فسلموه إليه فسيره إلى سليمان مع نفر ليس فيهم تميمي ، ووفى وكيع لحيان النبطي بما كان ضمن له ، فلطأتي سليمان برأس قتيبة ورؤوس أهله كان عنده الهذيل بن زفر بن الحرث فقال له : هل ساءك هذا يا هذيل ؟ فقال : لو ساءني لساء قوماً كثيراً ، فقال سليمان : ما أردت هذا كله ، وإنما قال سليمان هذا للهذيل لأنه هو وقتيبة من قيس عيلان ، ثم أمر بالرؤوس فدفنت ، ولما قتل قتيبة قال رجل من أهل خراسان : يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح به إذا غزونا وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة إلا أنه غدر ، وذلك أن الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلهم في الله ، وقال الأصمعي : قتلتم قتيبة ، وبزید بن المهلب ، وهما سيدا العرب فقيل له : أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ فقال : لو كان قتيبة بأقصى بحر في الغرب مكبلاً وبزید معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من بزید ؟ وقال الفرزدق في ذلك :

٦٧ أتاني ورخلي في المدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل

قائم

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة :

٦٨ كان أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يغل

منبراً

٦٩ ولم تخفق الرايات والجيش (١) حوله وقوف ولم يشهد له

الناسُ عسكرياً

٧٠ دعتُه المَنايا فاستجابَ لربه وراح إلى الجَنَّاتِ عفواً (2)

مُطَهَّرًا

(1) في الطبري " والقوم "

(2) في الطبري " عفا "

#فما رزىء الإسلام بَعَدَ محمدٍ بمثلِ أبي حَفْصِ قَبْكيه عَبْهَرَا
وعبهر أم ولد له ، قيل : وقال شيوخ من غسان : كنا بثنية
العقاب إذا نحن برجل
معه عصا وجراب فقلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان
قلنا : هل كان بها من خبر؟ قال : نعم قتل بها قتبية بن مسلم
أمس فعجبنا لقوله فلما رأى إنكارنا قال أين تروني الليلة من
افريقية وتركنا ومضى فاتبعناه على خيولنا فإذا هو يسبق
الطرف .

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة مات قره بن شريك العبسي أمير مصر
في صفر ، وقيل :
مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجاج ،
وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو
أمير المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد
بن أسيد - بفتح الهمزة وكسر السين - وعلى حرب العراق
وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة سفيان بن عبدالله الكندي من قبل يزيد بن
المهلب ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء
الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن
أبي سود .
وفيها مات شريح القاضي ، وقيل : سنة سبع وتسعين وله مائة
وعشرون سنة ،
وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكر ، ومحمود بن لبيد
الأنصاري وله صحبة ، وفي ولاية الوليد مات عبدالله بن محيريز
، قيل : له صحبة ، وأبو سعيد المقبري كان يسكن المقابر
فنسب إليها ، وفيها توفي إبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه ،
وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وله خمس وسبعون سنة ،
وفيها توفي عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان في أيام الوليد
بن عبد الملك ، وفيها توفي محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ،
وعباس بن سهل بن سعد الساعدي .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير

وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس كما ذكرنا عند عوده إلى الشام فضبطها وسدد أمورها وحمي ثغورها وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه - وكان خيراً فاضلاً - وتزوج امرأة رذريق فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق فقال لها : إن ذلك ليس في ديننا فلم تزل به حتى أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به و صار كالسجود عندها فقالت له : الآن لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجاً مما عندي من الذهب واللؤلؤ فأبى فلم تزل به حتى فعل فانكشف ذلك للمسلمين ف قيل : تنصروا و فطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين ، وقيل : إن سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نصير فدخلوا عليه وهو في المحراب فصلى الصبح وقد قرأ الفاتحة ، وسورة الواقعة فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيروه إلى سليمان فعرضه سليمان على أبيه فتجلد للمصيبة وقال : هنيئاً له الشهادة وقد قتلتموه والله صواماً قواماً ، وكانوا يعدونها من زلات سليمان ، وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها ، ثم إن سليمان ولي الأندلس الحرث بن عبد الرحمن الثقفي فأقام والياً عليها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله ، هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الاختصار .

وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عبدالله بن موسى بن نصير عن إفريقية واستعمل عليها محمد بن يزيد القرشي فلم يزل عليها حتى مات سليمان فعزل فاستعمل عمر بن عبد العزيز مكانه إسماعيل بن عبيدالله سنة مائة ، وكان حسن السيرة

فأسلم البربر في أيامه جميعهم .

ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما ولّى يزيد العراق فوّض اليه

حربها والصلاة بها وخراجها فنظر يزيد لنفسه وقال : إن العراق قد أخرجها الحجاج وأنا اليوم رجل أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج وأعدت عليهم السجون وما عاقاهم الله منه ومتى لم أت سليمان بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني ، فأتى يزيد سليمان وقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه قال : نعم قال : صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فولاه الخراج وسيره قبل يزيد فنزل واسطاً ، وأقبل يزيد فخرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد فخرج صالح في الدراعة بين يديه أربعمئة من أهل الشام فلقى يزيد وسائره ، فنزل يزيد وضيق عليه صالح فلم يمكنه من شيء ؛ واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال يزيد : اكتب ثمنها علي ، واشترى يزيد متاعاً وكتب صكاً بثمنه إلى صالح فلم يقبله وقال ليزيد : إن الخراج لا يقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين وتؤخذ به فضاحكه يزيد وقال : أجر هذا المال هذه المرة ولا أعود ، ففعل صالح .

وكان سليمان لم يجعل خراسان إلى يزيد فضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه فدعا عبدالله بن الأهميم فقال له : إني أريدك لأمر قد أهمني فأحب أن تكفينيه قال : أفعل قال : أنا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه وخراسان شاغرة برجلها فهل من حيلة ؟ قال : نعم سرحتني إلى أمير المؤمنين قال : فاكثم ما أخبرتكم ، وكتب إلى سليمان يخبره بحال العراق وأثنى على ابن الأهميم (أ) وذكر علمه بها وسير ابن الأهميم على البريد فأتى سليمان واجتمع به ، فقال له سليمان : إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق ، وخراسان فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ، بها ولدت وبها نشأت ولي بها وبأهلها خبر وعلم ، قال : قاشر علي برجل أوليه خراسان قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأيي فيه فسمى رجلاً من قريش

(أ) في الطبري " بن الاهتم " بناءً مثناة من فوق في كل موضع .

فقال : ليس من رجال خراسان قال : فعبد الملك بن المهلب قال لا يصلح فإنه يصبو عن هذا فليس له مكر أبيه ولا شجاعة أخيه حتى عدد رجالاً ، وكان آخر من ذكر وكيع بن أبي سود فقال : يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدم وما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندي يداً من وكيع لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقاً والنصيحة له تلزمني ان وكيعاً لم تجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدره خامل في الجماعة ثابت في الفتنة قال : ما هو ممن نستعين به فمن لها ويحك ؟ قال : رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين قال : فمن هو؟ قال لا أذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجيرني منه إن علم قال : نعم قال : يزيد بن المهلب قال : العراق أحب اليه من خراسان قال ابن الأهيم : قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق ويسير قال : أصبنا الرأي (1) .

فكتب عهد يزيد على خراسان وسيره مع ابن الأهيم ، فأتى يزيد به فأمر بالجهاز للمسير ساعته ، وقدم ابنه مخلداً إلى خراسان من يومه ، ثم سار يزيد بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبدالله الحكمي ، واستعمل على البصرة عبدالله بن هلال الكلابي ، وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة - وكان أوثق إخوته . عنده - ؛ واستخلف بالكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهراً ثم عزله وولى بشير بن حيان النهدي ، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع ، فلما سار يزيد إلى خراسان أمره سليمان أن يسأل عن قتيبة فإن أقامت قيس البيعة أن قتيبة لم يخلع قيد وكيعاً به ؛ ولما وصل مخلد بن يزيد مرواً أخذه وكيع فحبسه وعذبه وأخذ أصحابه وعذبهم قبل قدوم أبيه، وكانت ولاية وكيع خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد في هذه السنة خراسان فآذى (2) أهل الشام وقوماً من أهل خراسان فقال نهار بن توسعه في ذلك :

وما كنا نُؤمِّل من أمير كما كُنَّا نُؤمِّل من

يزيد

فأخطأ ظنُّنا فيه وقدماً زهدنا في معاشره

الزَّهيد

(1) في الطبري " أصبت الرأي "

(2) في الطبري : " فآذى " .

إذا لم يعطنا تصفاً أميراً مشيناً نحوهً مشي (1) ^٦ _{الأسود}

فمهلاً يا يزيدُ أنبِ إلينا ودعنا من معاشرَةِ العبيدِ ^٤
نجيب (2) ولا نرى إلا صدوداً على أنا نُسلم من ^٥

بَعِيدِ ^٥
وَتَرْجُعُ خَائِبِينَ بلا نوالٍ فما بالُ التَّجهمِ والصُّدُودِ ^٥
ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة . وفيها غزا مسلمة أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية ، وفيها غزا عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر فشتى فيها ، وفيها حج سليمان بن عبد الملك بالناس ، وفيها عزل داود بن طلحة الحضرمي (3) عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز بن عبدالله بن خالد ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم ، وفيها مات عطاء بن يسار . وقيل : سنة ثلاث ومائة .

وفيها مات موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك ، وفيها توفي قيس بن أبي حازم البجلي وقد جاوز مائة سنة ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم فراه قد توفي ، وروى عن العشرة ، وقيل : لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف وذهب عقله في آخر عمره (حازم) بالحاء المهملة والزاي المعجمة . وفيها توفي سالم بن أبي الجعد مولى أشجع ، واسم أبي الجعد رافع .

(1) في الطبري " مثل " .

(2) في الطبري " نحيء " .

(3) في الطبري : " طلحة بن داود الحضرمي " .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر محاصرة القسطنطينية

في هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك إلى دابق وجهاز جيشا مع أخيه مسلمة بن عبد الملك ليسيروا إلى القسطنطينية ، ومات ملك الروم فأتاه اليون من اذربيجان فأخبره فضمن له فتح الروم فوجه مسلمة معه ، فسارا إلى القسطنطينية فلما دنا منها أمر كل قارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه إلى القسطنطينية ففعلوا ، فلما أتاها أمر بالطعام فالقي أمثال الجبال وقال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئا وأغبروا في أرضهم وازرعوا ، وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناش وبقي الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع ، وأقام مسلمة قاهرا للروم معه أعيان الناس ، خالد بن معدان ، ومجاهد بن جبر ، وعبدالله بن أبي زكرياء الخزاعي ، وغيرهم ، فأرسل الروم إلى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل ، فقالت الروم لاليون : ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فأتى مسلمة فقال له : ان الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال وأنك تطاولهم ما دام الطعام عندك فلو أحرقته أعطوا الطاعة بأيديهم فأمر به فأحرق ، فقوي الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان .

وقيل : إنما خدع اليون مسلمة بأن سأله أن يدخل من الطعام إلى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا أن امره وأمر مسلمة واحد وأنهم في أمان من السبي والخروج من بلادهم فأذن له ، وكان اليون قد أعدّ السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر ، وأصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعبت بها . ، ولقي الجند ما لم يلقيه جيش آخر حتى أن كان الرجل لخاف أن يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر

والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ، ودخل الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات ، وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد فمات أيوب قبل أبيه . وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد أغار على مسلمة بن

عبد الملك وهو في قلة من الناس فكتب إلى سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا ، وفيها غزا الوليد بن هشام ، وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل انطاكية وأصاب الوليد ناساً من ضواحي الروم وأسر منهم بشراً كثيراً .

ذكر فتح جرجان وطبرستان

في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان ، وطبرستان لما قدم خراسان ، وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام فكان سليمان كلما فتح قتيبة فتحاً يقول ليزيد : ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ، ونيسابور ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان ، فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار إليها في مائة ألف من أهل الشام ، والعراق ، وخراسان سوى الموالي والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ، ومخارم ، وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد، فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك وأقام عليها وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون في كل ذلك فإذا هزموا دخلوا الحصن ، فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة وضربه ابن أبي سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دماً وسيف التركي في بيضته فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه ، وخرج يزيد بعد ذلك يوماً ينظر مكاناً يدخل منه عليهم وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة وقاتل يزيد قتالاً شديداً فسلموا وانصرفوا وكانوا قد عطشوا فانتهوا إلى الماء فشربوا ورجع عنهم العدو.

ثم إن يزيد ألح عليهم في القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا فأرسل

صول دهقان قهستان إلی یزید یطلب منه أن یصالحه ویؤمنه
علی نفسه ، وأهله ، وماله

ليُدفع إليه المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ، ودخل المدينة فأخذ مما كان فيها من الأموال ، والكنوز ، والسبي ما لا يحص ، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً ، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك ، ثم خرج حتى أتى جرجان ، وكان أهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ، وربما أعطوا ذلك وربما منعه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً ، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ؛ ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على قارس ، وكرمان ، وأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان ، وبقي أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد وأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم إلى ذلك وصالحهم ، فلما فتح قهستان ، وجرجان طمع في طبرستان أن يفتحها فعزم على أن يسير إليها ، فاستعمل عبدالله بن المعمر اليشكري على الساسان ، وقهستان (1) وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على إيزوسا راشد بن عمرو (2) وجعله في أربعة آلاف ، ودخل بلاد طبرستان فأرسل إليه الأصبهذ صاحبها يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ، ووجه أخاه أبا عيينة من وجه ، وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال : إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس ، فسار أبو عيينة وأقام يزيد معسكراً واستجاش الأصبهذ أهل جيلان ، والديلم فأتوه فالتقوا في سفح جبل (3) فانهزم المشركون في الجبل فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى قم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضاً يتساقطون في الجبل حتى انتهوا إلى عسكر يزيد ، وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الأصبهذ فكانت أهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم أن يبيتوا من عندهم من المسلمين وأن يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الإسلام وَيَعِدَهُمْ أَنْ يَكْفِئَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَتَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ غَارُونَ فِي لَيْلَةٍ ، وقتل عبدالله بن المعمر وجميع من معه فلم ينج منهم أحد .

(1) في الطبري " الساسان ودهستان " .

(2) في الطبري " على اندرستان " أسد بن عمرو .

(3) في الطبري " في سند جبل " .

وكتبوا إلى الأصبهيد ، بأخذ المضايق والطرق ، وبلغ ذلك يزيد ، وأصحابه

فعظم عليهم وهالهم ، وفزع يزيد إلى حيان النبطي وقال له لا يمنعك ما كان مني إليك عن نصيحة المسلمين وقد جاءنا عن جرجان ما جاءنا فاعمل في الصلح فقال : نعم ، فأتى حيان الأصبهيد فقال : أنا رجل منكم لان كان الدين فرق بيني وبينكم فأنا لكم ناصح فأنت أحب إليّ من يزيد وقد بعث يستمد وامداده منه قريبة وإنما أصابوا منه طرقاتاً ولست آمن أن يأتيك من لا تقوم له فارج نفسك وصالحه فإن صالحته صير حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه ، فصالحه على سبعمائة ألف ، وقيل : خمسمائة ألف ، وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ، ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير(1) وكسوة ، ثم رجع حيان إلى يزيد فقال : ابعث من يحمل صلحهم فقال : من ضدهم أو من عندنا قال : من عندهم - وكان يزيد قد طابت نفسه أن يعطيهم ما سألوا أو يرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف إلى جرجان وكان يزيد قد أغرم حيان مائتي ألف درهم ، وسبب ذلك أن حيان كتب إلى مخلد بن يزيد فبدأ بنفسه فقال له ابنه مقاتل بن حيان : تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك قال : نعم وإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة ، فبعث مخلد الكتاب إلى أبيه يزيد فأغرمه مائتي ألف درهم .

وقيل : إن سبب مسير يزيد إلى جرجان ان صولاً التركي كان ينزل قهستان ، والبحيرة وهي جزيرة في البحر بينها وبين قهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلي خوارزم وكان يغير على فيروز قول مرزبان جرجان فيصيب من بلاده فخافه فيروز فسار إلى يزيد بخراسان وقدم عليه فسأله عن سبب قدومه فقال : خفت صولاً فهربت منه ، وأخذ صول جرجان فقال يزيد لفيروز : هل من حيلة لقتاله ؟ قال : نعم شيء واحد إن ظفرت به قتلته وأعطى بيده قال : ما هو؟ قال : تكتب إلى الأصبهيد كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلاً فإنه يبعث كتابك إلى صول يتقرب اليه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة وان تحول عن جرجان وحاصرته ظفرت به ، ففعل يزيد ذلك وضمن للأصبهيد خمسين ألف دينار إن هو حبس صولاً عن البحيرة ليحاصره بجرجان فأرسل الأصبهيد الكتاب إلى صول ، فلما أتاه

(1) في الطبري "وسرقة خز".

الكتاب رحل الى البحيرة ليتحصن بها ، وبلغ يزيد مسيره فخرج إلى جرجان ومعه فيروز ، واستعمل على خراسان ابنه مخلد أ ، وعلى سمرقند ، وكش ، ونسف وبخاري ابنه معاوية ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان فدخلها ولم يمنعه منها أحد ، وسار منها إلى البحيرة فحصر صولاً بها فكان يخرج إليه صول فيقاتله ثم يرجع فمكثوا بذلك ستة أشهر فأصابهم مرض وموت ؛ فأرسل صول يطلب الصلح على نفسه ، وماله وثلاثمائة من أهله ، وخاصته ويسلم إليه البحيرة فأجابه يزيد فخرج بماله وثلثمائة ممن أحب ، وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألف صبراً وأطلق الباقين ، وطلب الجند أرزاقهم فقال لادريس بن حنظلة العمي : احص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند ؛ فدخلها إدريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد : أستطيع ذلك وهو في ظروف فتحصى الجواليق ويعلم ما فيها ويعطي الجند فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة ، والشعير ، والأرز ، والسمس ، والعسل ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً ، وكان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد عنها فاتاه بها فاعطاها شهراً فقال بعضهم :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيْطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقِرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرٌ

وقال مرة الحنفي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح
الْقُرَاءِ

وأصاب يزيد بجرجان تاجاً فيه جوهر فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا :

لا فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال : خذ هذا التاج قال : لا حاجة لي فيه قال عزمتم عليكم فأخذه ، فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به فلقي سائلاً فدفعه إليه فأخذ الرجل السائل وأتى به يزيد فأخبره فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالاً كثيراً .

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني

قد ذكرنا نجتج جرجان ، وقهستان وغدر أهل جرجان ، فلما صالح يزيد اصهبذ طبرستان إلى جرجان 5عاهد الله تعالى لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين ، فاتاها وحصر أهلها بحصن فجأة (ا) ومن يكون بها لا يحتاج

(1) في الطبري "وجه" .

الى عدة من طعام وشراب فحصرهم يزيد فيها سبعة أشهر وهم يخرجون إليه في الأيام فيقاتلونه ويرجعون ، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد؛ وقيل : رجل من طيء فابصر وعلا في الجبل فتبعه ولم يشعر حتى هجم على عسكرهم فرجع كأنه يريد أصحابه وجعل يخرق قباهه ويعقد، على الشجر علامات ، فأتى يزيد فأخبره فضمن له يزيد دية إن دلهم على الحصن ، فانتخب معه ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن عن الموت وإياك أن أراك عندي مهزومياً ، وضم إليه جهم بن زحر وقال للرجل : متى تصلون ؟ قال غداً العصر قال يزيد : نناجداً (1) على مناهضتهم عند الظهر ، فساروا فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم فصار مثل الجبال من النيران فنظر العدو إلى النيران فهالهم ذلك فخرجوا إليهم وتقدم يزيد إليهم فاقتتلوا ، وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر الترك قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين إلى يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان وقال : من طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة ، وأجرى الماء على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل . وقيل : قتل منيم أربعين ألفاً ، وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان ، واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي .

وقيل : بل قال يزيد لأصحابه لما ساروا : إذا وصلتكم إلى الحصن انتظروا فإذا

كان السحر كبروا واقصدوا الباب فستجدونني قد نهضت بالناس إليه ، فلما دخل ابن زحر أمهل حتى كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها فكبر ففرع أهل الحصن وكان أصحاب يزيد لا يلقون أحداً إلا قتلوه ودهش الترك فبقوا لا يدرون أين يتوجهون وسمع يزيد التكبير فسار في الناس إلى الباب فلم يجد عنده أحداً يمنع وهم مشغولون بالمسلمين فدخل الحصن من ساعته وأخرج من فيه وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ وسبى أهلها وغنم ما فيها .
(1) في الطبري " ساجهد " .

كتب إلى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره أنه قد حصل عنده من
الخميس ستمائة
ألف ألف ، فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قررة مولى بني
سدوس : لا تكتب تسمية المال فإنك من ذلك بين أمرين إما
استكثره فأمرك بحمله وإما سمحت نفسه لك به فأعطاكه
فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله فكأنني بك قد
استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعاً ويبقى المال الذي
سميت مخلداً في دواوينهم فإن ولي وال بعده أخذك به وإن
ولي من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله
القدوم وشافهه بما أحببت فهو أسلم فلم يقبل منه وأمض
الكتاب وقيل : كان المبلغ أربعة آلاف ألف .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك وهو ولي
عهد . وفيها
فتحت مدينة الصقالبة ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ، وفيها غزا
داود بن سليمان أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي
ملطية .
وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ودامت ستة أشهر ، وفيها
مات عبيدالله بن
عبدالله بن عتبة بن مسعود وأبو عبيد مولى عبد الرحمن بن
عوف - ويعرف بمولى ابن أزهري - وعبد الرحمن بن زيد بن حارثة
الأنصاري ، وسعيد بن مرجانة مولى قريش ، وهي أمه واسم
أبيه عبدالله ، وحج بالناس عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن
أسيد وهو أمير على مكة ، وكان العمال من تقدم ذكرهم إلا
البصرة فإن يزيد استعمل عليها سفيان بن عبدالله الكندي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر موت سليمان بن عبد الملك

في هذه السنة توفي سليمان بن عبد الملك بن مروان يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقيل : توفي فيها لعشر مضين من صفر فتكون ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج وولي سليمان فأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز وكان موته بدابق من أرض قنسرين ، لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال : أنا الملك الفتى فما عاش جمعة ، ونظرت إليه جارية فقال : ما تنتظرين ؟ فقالت : أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان قيل : وشهد سليمان جنازة بدابق فدفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك

التربة ويقول : ما أحسن هذه التربة وأطيبها فما أتى عليه جمعة حتى دفن إلى جنب ذلك القبر ، قيل : حج سليمان وحج الشعراء فلما كان بالمدينة قافلاً تلقوه ينحو أربعمئة أسير من الروم فقعده سليمان وأقربهم منه مجلساً عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقدم بطريقهم فقال : يا عبدالله اضرب عنقه فأخذ سيفاً من حرسه فضربه فأبان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل (1) ودفع البقية إلى الوجوه يقتلونهم ، ودفع إلى جرير رجلاً منهم فأعطاه بنو عبس سيفاً جيداً فضربه فأبان رأسه ؛ ودفع إلى

(1) في الطبري : " فقال سليمان : أما والله ما من حودة السيف حادت الضربة ولكن لحسه "

الفرزدق أسيراً فأعطوه. سيفاً رديئاً لا يقطع فضرب به الأسير
ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان والقوم وشمتمت به (1)
بنو عبس أخوال سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول :
وَإِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدْرٌ أَتَى بِتَأْخِيرِ نَفْسِي حَتْفَهَا غَيْرُ
شَاهِدٍ

فسيفُ بني عبسٍ وقد كل ضربوا به تَبَا بِيَدَيْ ، ورفاء عن
رأسِ خالدٍ
كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَائِهَا وَتَقَطُّعُ أَحْيَاناً مَتَاطِ
الْقَلَائِدِ

(ورفاء) هو ورفاء بن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن
جعفر بن كلاب وخالد قد أكب علي زهير(2) وضربه بالسيفِ
فصرعه فأقبل ورفاء فضرب خالداً ضربات فلم يصنع شيئاً
فقال ورفاء بن زهير :
رَأَيْتُ زَهِيرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ
أَبَادِرُ
فَشُلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَمْتَعُهُ (3) مَنِي الْحَدِيدِ
الْمُظَاهِرُ

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز ، وسبب ذلك أن
سليمان بن

عبد الملك كان بدابق ومرض على ما وصفنا فلما ثقل عهد في
كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقال له رجاء بن حيوة :
ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ ان مما يحفظ الخليفة في قبره أن
يستخلف على الناس الرجل الصالح فقال سليمان : أنا أستخير
الله وأنظر ولم أعزم فمكث سليمان يوماً أو يومين ثم خرقة
ودعا رجاء فقال : ما ترى في ولدي داود ؟ فقال رجاء : هو
غائب عند القسطنطينية ولا تدري أحي أم لا قال : فمن ترى ؟
قال رجاء : رأيك يا أمير المؤمنين قال : فكيف ترى في عمر بن
عبد العزيز؟ قال رجاء: فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً سليمان
قال سليمان : هو والله على ذلك ، ولئن وليته ولم أول أحداً
سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل
أحدهم بعده . .

(1) في الطبري " وشمتمت بالفرزدق " .

(2) في الطبري " على أبيه زهير " .

(3) في الطبري " وحصنه " .

وكان عبد الملك قد عهد إلى الوليد ، وسليمان أن يجعلأ أخاهما يزيد ولي عهد فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر- وكان يزيد غائباً في الموسم - قال رجاء : قلت رأيك ، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم ، وختم الكتاب ثم أرسل إلى كعب بن جابر(1) العبسي صاحب شرطته فقال : ادع أهل بيتي فجمعهم كعب ، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي إليهم وأخبرهم بكتابي ومُرَّهُمْ فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فقالوا : ندخل ونسلم على أمير المؤمنين قال : نعم فدخلوا فقال لهم سليمان : في هذا الكتاب الذي في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت فيه فبايعوه رجلاً رجلاً وتفرقوا قال رجاء : فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسند إلف شيئاً من هذا الأمر فأنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك ، قال رجاء : ما أنا بمخبرك حرفاً قال : فذهب عمر عني غضبان .

قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك فقال : إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فأعلمني بهذا الأمر فإن كان إلى غيري تكلمت ولله على أن لا أذكر شيئاً من ذلك أبداً . قال رجاء : فأبيت أن أخبره حرفاً ، فانصرف هشام وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول : فإلى من إذا نحيت عني أخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القبلة فيقول حين يفيق : لم يأن بعد ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فحرفته فمات ، فلما غمضته وسجّيته وأغلقت الباب أرسلت إلى زوجته فقالت : كيف أصبح ؟ فقلت : هو نائم قد تغطى ونظر إليه الرسول متغطياً فرجع فأخبرها فظنت أنه نائم قال : فأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يبرح ولا يترك أحداً يدخل على الخليفة قال : فخرجت فأرسلت إلى كعب بن جابر فجمع أهل بيت سليمان فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت : بايعوا فقالوا : قد بايعنا مرة قلت :
(1) في الطبري " كصب بن حامد "

وأخرى هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا الثانية ؛ فلما بايعوا بعد موته رأيت أني قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات قالوا : إنا لله لانا إليه راجعون ، وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا نبايعه والله أبداً قلت : أضرب والله عنقك فم فبايع فقام يجر رجله قال رجاء : فأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته علي المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه فبايعوه ، وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودُفن ، فلما دُفن أتيت عمر بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس فقال : ما هذا ؟ فقيل مراكب الخلافة قال : دابتي أوفق لي وركب دابته وصرفت تلك الدواب ، ثم أقبل سائراً فقيل له : أمنزل الخلافة ؟ فقال : فيه عيال أبي أيوب -يعني سليمان -وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فأقام في منزله حتى فرغوه .

قال رجاء : فأعجيني ما صنع في الدواب ، ومنزل سليمان ، ثم دعا كاتباً فأملئ

عليه كتاباً واحداً وأمره أن ينسخه ويسيره إلى كل بلد ، وبلغ عبد العزيز بن الوليد -وكان غائباً- موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا إلى نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فأقبل حتى دخل عليه فقال له عمر : بلغني أنك بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أن سليمان لم يكن عهد لأحد فخفت على الأموال أن تُنهب ، فقال عمر : لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه ولقعدت في بيتي ، فقال عبد العزيز : ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايعه ، وكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده ، فلما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لامرأته قاطمة بنت عبد الملك : إن أردت صحبتي فردي ما معك من مال وحلي وجوهر إلي بيت المسلمين فإنه لهم وإني لا أجمع أنا ، وأنت ، وهو في بيت واحد فردته جميعه ؛ فلما توفي عمر وولي أخوها يزيد رده عليها وقال : أنا أعلم أن عمر ظلمك قالت : كلا والله وامتنعت من أخذه وقالت : ما كنت أطيعه حياً وأعصيه ميتاً فأخذه يزيد وفرقه على أهله .

ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام

كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي

عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب إلى العمال في
الأفاق بتركه ، وكان سبب

محبته علياً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك ، فأتيته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه ، فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي : متى علمت أن الله غضب علي أهل بدر ، وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟ قلت : لم أسمع ذلك قال : فما الذي بلغني عنك في عليّ ؟ فقلت : معذرة إلى الله وإليك وتركت ما كنت عليه .

وكان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت علي ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً قال : أو فطنت لذلك ؟ قلت : نعم فقال : يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده ، فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجله فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} (1) الآية ، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً وأكثروا مدحه بسببه ، فمن ذلك قول كثير عزة :

وليتَ قَلْمٌ تَشْتُمُ علياً ولم تُخِفْ برياً ولم تَتَّبِعْ مقالةً

مجرم

تَكَلَّمْتَ بالحق المبين وإنما تُبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروفَ الذي قلتَ بالذي فعلتَ فأصْحَى راضياً

كل مسلم

ألا إنما يَكْفِي الفتى بَعْدَ زَيْنِهِ من الأودِ البادي ثقافُ

المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر : أفلحنا إذاً .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً وحث الناس على معونتهم ، وفيها أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ولم يفلت منهم إلا اليسير وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً .

(1) سورة النحل 95 .

وفيهما عزل يزيد بن المهلب عن العراق ووجه إلى البصرة عدي بن أرطاة الفزاري ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي وضم إليه أبا الزناد وكان كاتبه ، وبعث عدي في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري .

وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة ، وكان العامل على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد ، وعلى الكوفة عبد الحميد ، وعلى القضاء بها عامر الشعبي ، وكان على البصرة عدي بن أرطاة ، وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثم استعفى عدياً فأعفاه واستقض إياس بن معاوية، وقيل: بل شكها الحسن فعزله عدي واستقض إياساً. واستعمل عمر بن عبد العزيز على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي .

وفي هذه السنة مات نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بالمدينة ، ومحمود بن الربيع ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو ظبيان بن حصين بن جندب الجنيبي والد قابوس (ظبيان) بالطاء المعجمة .

وفيهما توفي أبو هاشم . عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب من سم سقيه عند عوده من الشام ، وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاه فلما أحس بذلك عاد إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو بالحميمة فعرفه حاله وأعلمه أن الخلافة صائره إلى ولده وأعلمه كيف يصنع ثم مات عنده، وفي أيام سليمان توفي عبيدالله بن سريج المغني المشهور وعبد الرحمن بن كعب بن مالك أبو الخطاب .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر خروج شوذب الخارجي

في هذه السنة خرج شوذب - واسمه بسطام - من بني يشكر في جوخي وكان في ثمانين رجلاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة أن لا يحركهم حتى يسفكوا دمًا ويفسدوا في الأرض فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جند ، فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبدالله البجلي في ألفين وأمره بما كتب به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن ذا جرير فقام بازائه لا يتحرك فكان في كتاب عمر: بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ولست أولى بذلك مني فهلم إلى أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس لأن كان في يدك نظرنا في أمرك . فكتب بسطام إلى عمر: قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم ، ورجلاً من بني يشكر، فقدم على عمر بخناصرة (1) فدخل إليه فقال لهما: ما أخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم؟ فقال عاصم: ما نقمنا سيرتك إنك لتتحرى العدل والإحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر أعنّ رضاً من الناس ومشورة أم ابتزرتهم أمرهم؟ فقال عمر: ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها ، وعهد إلي رجل كان قبلي فقامت ولم يُنكره عليّ أحدٌ ولم يكرهه غيركم وأنتم ترونّ الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس فاتركوني ذلك الرجل فإن خالف الحق ورغبته عنه فلا طاعة لي عليكم ، فقالا: بيننا وبينك أمر واحد قال: ما هو؟ قال: رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فإن كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابراً منهم ، فقال عمر: قد علمت أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها

(1) خناصرة : بلدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية .

إن الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعاناً ، وقال ابراهيم : { فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم } (1) وقال الله عز وجل { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } (2) وقد سميت أعمالهم ظلماً وكفى بذلك ذمماً ونقصاً ، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها فان قلت : إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته قال أفيسمعك أن لا تعلن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟ قال : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلي الإيمان فكان من أقر به وبشرائه قبل منه فإن أحدث حدثاً أقيم عليه الحد ، فقال الخارجي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده ، قال عمر : فلبى أحد منهم يقول : لا أعمل بسنة رسول الله ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على علم منهم أنه محرّم عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء ، قال عاصم : فابراً مما خالف عملك ورد أحكامهم . قال عمر : أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا على حق ؟ قال : بلى قال : أتعلمان أن أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟ قال : بلى قال : أتعلمون أن عمر رد السبايا بعده إلى عشائرتهم بفدية ؟ قال : نعم قال : فهل برىء عمر من أبي بكر؟ قال : لا قال : أف تبرؤن أنتم من واحد منهما ؟ قال : لا قال : فأخبراني عن أهل النهروان وهم أسلافكم هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبدالله بن خباب وجاريتته وهي حامل ؟ قال : نعم قال : فهل برىء من لم يقتل ممن قتل واستعرض ؟ قال : لا قال : أف تبرؤن أنتم من أحد من الطائفتين ؟ قال : لا قال : أفيسمعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم ولا يسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد ؟ فاتقوا الله فإنكم جهال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردون عليهم ما قبل ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ، فإنكم يخاف عندكم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمناً وحقن دمه وماله وأنتم تقتلونهم ، ويأمن عندكم سائر أهل الأديان .

(2) سورة الأنعام 90.

فتحرمون دماءهم وأموالهم ، فقال اليشكري : أرأيت رجلاً ولي قوماً وأموالهم فعَدَلْ فيها ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأموم أتراه أدى الحق الذي يلزمه لله عز وجل أو تراه قد سلم ؟ قال عمر : لا . قال : أفتسلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاءه غيري والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي ، قال : أفتري ذلك من صنع من ولاءه حقاً فبكى عمر وقال : أنظراني ثلاثاً ، فخرجنا من عنده ثم عادا إليه فقال عاصم : أشهد أنك على حق فقال عمر لليشكري : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر أعرض عليهم ما قلت وأعلم ما حجتهم ، فأما عاصم فأقام عند عمر فأمر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يوماً فكان عمر بن عبد العزيز يقول : أهلكني أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله ، فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سما فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى مرض ومات ، ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه كل منهم ينتظر عود الرسل من عند عمر بن عبد العزيز فتوفي والأمر على ذلك .

ذكر الفيض على يزيد بن المهلب واستعمال الجراح على خراسان

قيل : وفي هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة يأمره بإنفاذ يزيد بن المهلب إليه موثقاً ، وكان عمر قد كتب إليه أن يستخلف على عمله ويقبل إليه فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان ونزل واسطاً ثم ركب السفن يريد البصرة ، فبعث عدي بن أرطاة موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فدعا به عمر وكان يبغض يزيد ، وأهل بيته ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : إنه مرء ، فلما ولي عمر عرف يزيد أنه بعيد من الرياء ، ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان فقال : كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به ؛ فقال له : لا أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبدالله الحكمي فسرحه إلى خراسان أميراً عليها ، وأقبل

مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالاً عظيمة ،
ثم قدم على عمر فقال

له : يا أمير المؤمنين ان الله منع هذه الأمة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر لا إلا ان تحمل الجميع فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة فخذها وإلا فصدق مقالة يزيد واستحلفه فإن لم يفعل فصالحه ، فقال عمر : ما أخذه إلا بجميع المال ، فخرج مخلد من عنده فقال عمر : هذا خير من أبيه ثم لم يلبث مخلدًا إلا قليلاً حتى مات فصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقال : اليوم مات فتى العرب وأنشد:

٧= بكوا حذيفة لم يبكوا مثله حتى تبعد خلائق لم تخلق فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ألبسه جبة صوفية وحمله على جمل وقال : سيروا به إلى دهلك ، فلما خرج ومروا به على الناس أخذ يقول : أما لي عشيرة إنما يذهب إلى دهلك الفاسق ، واللص ، فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر فقال : يا أمير المؤمنين اردد يزيد إلى محبسه فإنني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فإنهم قد غضبوا له فرده إلى محبسه فبقي فيه حتى بلغه مرض عمر .

ذكر عزل الجراح واستعمال

عبد الرحمن بن نعيم القشيري

وعبد الرحمن بن عبد الله

قيل : في هذه السنة عزل عمر الجراح بن عبدالله الحكمي عن خراسان واستعمل عليها عبد الرحمن بن نعيم القشيري ، وكان عزل الجراح في رمضان ؛ وكان سبب ذلك أن يزيد لما عزل عن خراسان أرسل عامل العراق عاملاً على جرجان فأخذه جهم بن زجر الجعفي - وكان علي جرجان عاملاً ليزيد بن المهلب - فحبسه وقيده وجبس رهطاً قدموا معه ، ثم خرج إلى الجراح بخراسان فأطلق أهل جرجان عاملهم ، وقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم اسوغك هذا فقال جهم : لولا أنك ابن عمي لما أمنتك ، وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي الحصين بن الحرث ، وأما كونه ابن عمه فلأن الحكم وجعفة ابنا سعد العشيرة ، فقال له الجراح : خالفت إمامك فاغز لعلك تظفر فيصلح أمرك عنده ، فوجهه إلى الختل فنتم منهم ورجع .

وأوفد الجراح إلى عمر وفداً رجلين من العرب ورجلاً من الموالي يكنى أبا الصيد(1) فتكلم العربيان . والمولى ساكت فقال عمر : ما أنت من الوفد ؟ قال : بلى قال : فما يمنعك من الكلام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من الذمة يؤخذون بالجراح فأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم خفياً وأنا اليوم عصبي والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان قال عمر : أحر بمثلك أن يوفد ، فكتب عمر إلى الجراح انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلي الإسلام فقبل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان ، فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إليه إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً ولم يبعثه خاتماً وقال : ائتوني رجل صدوق أسأله عن خراسان فقبل له : عليك بأبي مجلز ، فكتب إلى الجراح أن أقبل وأحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيري (2) ؛ فخطب الجراح وقال : يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي - ولم يكن عنده إلا فرس وبغلة - فسار عنهم ، فلما قدم على عمر قال : متى خرجت ؟ قال : في شهر رمضان قال : صدق من وصفك بالجفاء هلاً أقمت حتى تفطر ثم تخرج .

وكان الجراح كتب إلى عمر: إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة

فهم منبثون فيها فأحب الأمور إليهم أن يعودوا ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط فكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك ، فكتب إليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضرب مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في الحق واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلما قدم الجراح على عمر وقدم أبو مجلز قال له عمر : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبدالله فقال : يكافىء الأكفاء ويعادي الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم إن وجد من يساعده ، قال : فعبد الرحمن بن نعيم قال : يحب العافية والثاني قال : هو أحب إلي فولاه الصلاة والحرب ، وولى عبد الرحمن القشيري

(1) في الطيري "أبا الصيداء".

(2) في الطيري "الغامدي".

الخراج ، وكتب إلى أهل خراسان : إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن محمد على خراجكم ، وكتب إليهما يأمرهما بالمعروف والاحسان ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة بن عبد العزيز الحرث بن الحكم (1) فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف .

ذكر ابتداء الدعوة العباسية

في هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الدعوة في الأفاق ، وكان سبب ذلك أن محمداً كان ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فسار أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية إلى الشام إلى سليمان بن عبد الملك فاجتمع به محمد بن علي فأحسن صحبته ، واجتمع أبو هاشم بسليمان فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه في لبن ؛ فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد الحُميمة من أرض الشراة وبها محمد فنزل عليه وأعلمه أن هذا الأمر صائر إلى ولده وعرفه ما يعمل ، وكان أبو هاشم قد أعلم شيعته من أهل خراسان ، والعراق عند تردهم إليه أن الأمر صائر إلى ولد محمد بن علي وأمرهم بقصده بعده ، فلما مات أبو هاشم قصدوا محمداً وبايعوه وعادوا فدعوا الناس إليه فأجابوهم ، وكان الذين سيّروهم إلى الأفاق جماعة ، فوجه ميسرة إلى العراق ، ووجه محمد بن خنيس ، وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة إلى خراسان وعليها الجراح الحكمي وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي فدفعوها إلى ميسرة فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، فاختر أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً نقباء، منهم سليمان بن كثير الخزاعي ، ولاهز ابن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم أبو داود من بني شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى آل ابي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زريق

(1) في الطبري : " ووجه مسلمة سعد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم " .

الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة وشيل بن طهمان أبو علي الهروي مولى ليني حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار سبعين رجلاً وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسيرون بها .
(الحميمة) بضم الحاء المهملة، و(الشرأة) بالشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقول عنها إلى ملطية -

وطرندة واغلة في البلاد الرومية من ملطية بثلاث مراحل - وكان عبدالله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين - وملطية يومئذ خراب - وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر فأمرهم بالعود إلى ملطية وأخلى طرندة خوفاً على المسلمين من العدو وأخرب طرندة ، واستعمل على ملطية جعونة بن الحرث أحد بني عامر بن صعصعة .

وفيهما كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين -وقد كانت سيرته

بلغتهم - فأسلم جيشبة بن زاهر والملوك تسموا له بأسماء العرب ، وكان عمر قد

استعمل على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة بن مسلم فغزا بعض الهند فظفر وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ، ويزيد بن عبد الملك ، فلما كان أيام هشام ارتدوا عن الإسلام وكان سببه ما نذكره ان شاء الله تعالى .

وفيهما أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي الصائفة ، وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزاري على الجزيرة عاملاً عليها .

وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو ، وكان العمال من تقدم ذكرهم إلا عامل خراسان ، وكان على حربها عبد الرحمن بن نعيم ، وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبدالله في آخرها ، وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز

اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم على افريقية ، واستعمل السمع بن مالك

الخولاني على الأندلس - وكان قد رأى منه أمانة وديانة عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله .
وفي هذه السنة مات أبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة وهو آخر من مات من الصحابة ، وفيها مات شهر بن حوشب ، وقيل : سنة اثنتي عشرة ومائة .
وفيها توفي القاسم بن مخيمرة الهمداني ، وفيها توفي مسلم بن يسار الفقيه ،

وقيل : سنة احدى ومائة ، وفيها توفي أبو امامة أسعد بن سهل بن حنيف - وكان ولد علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسماه وكناه بجده لأمه أبي امامة أسعد بن زرارة وكان قد مات قبل بدر ، وفيها توفي بسر بن سعد مولى الحضرميين .
(بسر) بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة ، وعيسى بن طلحة بن عبدالله التيمي ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وربيع بن حراش الكوفي (حراش) بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة ، وقيل : سنة أربع ومائة ، وحنش بن عبدالله الصنعاني كان من أصحاب علي فلما قتل انتقل إلى مصر وهو أول من اختط جامع سرقسطة بالأندلس (حنّش) بالحاء المهملة والنون المفتوحتين والشين المعجمة .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر هرب ابن المهلب

قد ذكرنا حبس يزيد بن المهلب وأنه لم يزل محبوساً حتى اشتد مرض عمر بن

عبد العزيز فعمل في الهرب فخاف يزيد بن عبد الملك لأنه قد عذب أصهاره آل أبي عقيل ، وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف وهي ابنة أخي الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وكان سبب تعذيبهم أن سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة طلب آل أبي عقيل فأخذهم وسلمهم إلى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم ، وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق ربها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه ؛ وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل : بل أخت لها فعذبها يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب في منزله فشفع فيها فلم يشفعه ، فقال : الذي قررتم عليها أنا أحمله فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلب : أما والله لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً ، فقال ابن المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار ، وقيل : أكثر من ذلك ، فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك فأرسل إلى مواليه فأعدوا له إبلاً وخيلاً وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه ، فأرسل إلى عامل حلب مالاً وإلى الحرس الذين يحفظونه وقال : إن أمير المؤمنين قد ثقل وليس برجاء وإن وليّ يزيد يسفك دمي فأخرجوه فهرب إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه فركب الدواب وقصد البصرة ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول : اني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتلة، فورد الكتاب وبه رمق فقال : اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه وهضه

فقد هاضني (1) ، ومر يزيد في طريقه بالهذيل بن زفر بن الحرث - وكان يخافه - فلم يشعر الهذيل الا وقد دخل يزيد منزله ودعا بلبن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيئاً ، وقيل في سبب خوف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك : ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

قيل : توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة (2) احدى ومائة ، وكانت شكواه عشرين يوماً ، ولما مرض قيل له : لو تداويت قال : لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها نِعَم المذهب إليه ربي ، وكان موته بدير سمعان ، وقيل : بخناصرة ودفن بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا ، وقيل : كان عمره أربعين سنة وأشهرًا ، وكانت كنيته أبا حفص ، وكان يقال له : أشج بني أمية ، وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته ، وهو غلام فدخل على أمه فضمته إليها وعذلت أباه ولامته حيث لم يجعل معه حاضناً ، فقال لها عبد العزيز : اسكتي يا أم عاصم فطوبى لك ان كان أشج بني أمية .

قال ميمون بن مهران : قال عمر بن عبد العزيز : لما وضعت الوليد في حفرته

نظرت فإذا وجهه قد اسود فإذا مت ودفنت فاكشف عن وجهي ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه ، وقيل : كان ابن عمر يقول : يا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ، وكانت أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وورثاه الشعراء فأكثرُوا فقال كثير عزة :

أقولُ لما أتاني ثم مهلكهُ لا تبعَدَنَّ قوام الحق والدين
قد غادروا في ضريح اللحد منجدلاً بدير سمعان قسطاس

الموازين

ورثاه جرير والفرزدق وغيرهما.

(1) عبارة الطبري " ان كان يزيد يريد بهذه الامة شراً فاكفهم شره وارذد كيده في نحره " .

(2) في الطبري " لعشر ليال بقين من رجب " .

ذكر بعض سيرته

قيل : لما ولي الخلافة كتب إلى يزيد بن المهلب أما بعد فان سليمان كان عبداً

من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفي ويزيد بن عبد الملك من بعدي أن كان ، وان الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس عليّ بهين ، ولو كانت رغبتني في اتخاذ أزواج أو اعتقال أموال صان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلافة(2) وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة الا ما عفا الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك ، فلما قرأ الكتاب قيل له : لست من عماله لأن كلامه ليس ككلام من مضى من أهله ، فدعا يزيد الناس إلى البيعة فبايعوا ، قال مقاتل بن حيان : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أما بعد فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين ؛ قال طفيل بن مرداس : كتب عمر إلى سليمان بن ابي السري أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فأقروه يومين وليتين وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده ، فلما أتا 5 كتاب عمر قال له أهل سمرقند : قتيبة ظلمنا وغدر بنا فأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فأذن لنا فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين فأذن لهم فوجهوا وفداً الى عمر ، فكتب لهم إلى سليمان : إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فان قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة قال : فأجلس لهم سليمان جميع من حاضر القاضي فقض أن يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وينابذهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة ، فقال أهل الصغد : بل نرض بما كان ولا نحدث حرباً وتراضوا بذلك .

قال داود بن سليمان الجعفي ، كتب عمر إلي عبد الحميد : أما بعد فان أهل

الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين والعدل والاحسان فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك فلا تحملها قليلاً من الإثم ، ولا تحمل خراباً على عامر وخذ منه ما أطاق واصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذن من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذن أجور

(1) في الطبري " من خلقه " .

الضرايين . ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح (1) ولا أجور البيوت ، ولا درهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمري فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ، ولا تتعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه ، وانظر من . أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة ليحج بها والسلام .

قال عثمان بن عبد الحميد : حدثني أبي قال : قالت قاطمة بنت عبد الملك

- رحمها الله - امرأة عمر: لما مرض اشتد قلقه ليلة فسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ليكون عنده ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه ثم نمنا فلما انتفخ النهار استيقظت فوجهت إليه فرأيت مرثداً خارجاً من البيت نائماً فقلت له : ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني وقال لي : إني أرى شيئاً ما هو بأنس ولا جن فخرجت فسمعتة يتلو تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين } (2) قالت : فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت ، قال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر أعوده فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته قاطمة وكانت أخت مسلمة : اغسلوا ثياب أمير المسلمين فقالت : نفعل ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت : ألم أمركم أن تغسلوا قميصه فقالت : والله ماله غيره ، قيل : وكانت نفقته كل يوم درهمين ، قيل : وكان عبد العزيز قد بعث ابنه إلى المدينة للتأديب بها فكتب إلى صالح بن كيسان أن يتعاهده فأبطأ عمر يوماً عن الصلاة فقال : ما حبسك ؟ فقال : كانت مرجلتي تصلح شعري فكتب إلى أبيه بذلك فأرسل أبوه رسولاً فلم يزل حتى حلق شعره .

وقال محمد بن علي الباقر : إن لكل قوم نجية وإن نجية بني أمية عمر بن

عبد العزيز وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فلم نبرح حتى تعلمنا منه ، وقال ميمون : كانت العلماء عند عمر تلامذة ، وقيل لعمر : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي فقال : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة ، وقال عمر : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله ، وقال رياح بن عبيدة : خرج عمر بن عبد العزيز وشيخ متوكيء على يده فلما فرغ ودخل قلت : أصلح الله الأمير من الشيخ .

(1) في الطبري " ولا أجور الفيوج " .

(2) سورة القصص 83 .

الذي كان متوكئاً على يدك ؟ قال : رأيته ؟ قلت : نعم قال :
ذاك أخي الخضر أعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل
فيها قال : وأتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها فأمر بها
فبيعت وجعل أثمانها في بيت المال وقال : تكفيني بغلتي هذه
قال : ولما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له
مغتماً فسأله فقال : ليس أحد من أمة محمد في شرق الأرض
ولا غربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه من غير طلب منه ، قال
: ولما ولي الخلافة قال لامرأته وجواريه : إنه قد شغل بما في
عنقه عن النساء وخيرهن بين أن يقمن عنده أو يفارقنه فبكين
واخترن المقام معه ، قال : ولما ولي عمر بن عبد العزيز صعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه - وكانت أول خطبة خطبها - ثم قال
: أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا يرفع إلينا
حاجه من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهدنا ويدلنا من
الخير على ما نهتدي إليه ولا يغتابن أحداً ، ولا يعترض فيما لا
يعنيه فانقشع الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد
وقالوا : ما يسعنا نفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله ، قال
: فلما ولي الخلافة أحضر قريشاً ووجوه الناس فقال لهم : إن
فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها
حيث أراه الله ثم وليها أبو بكر كذلك وعمر كذلك ثم أقطعها
مروان ثم إنها صارت إلي ولم تكن من مالي أعود منها علي
وإني أشهدكم أنني قد رددتها علي ما كانت عليه في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانقطعت ظهور الناس
ويئسوا من الظلم ، قال : وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه
مزاحم : إن أهلي أقطعوني مالم يكن لي أن أخذه ولا لهم أن
يعطونيهِ واني قد هممت برده علي أربابه قال : فكيف تصنع
بولدك ؟ فجرت دموعه وقال : اكلهم الي الله ، قال : وجد لولده
ما يجد الناس فخرج مزاحم حتى دخل علي عبد الملك بن عمر
فقال له : إن أمير المؤمنين قد عزم علي كذا وكذا وهذا أمر
يضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك : بئس وزير الخليفة أنت
. ثم قام فدخل علي أبيه وقال له : إن مزاحماً أخبرني بكذا
وكذا فما رأيك ؟ قال : إني أريد أن أقوم به العشية قال : عجله
فما يؤمنك أن يحدث لك حدث أو يحدث بقلبك حدث فرفع عمر
لديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني علي
ديني ثم قام به من ساعته في الناس وردّها .
قال : ولما ولي عمر الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمى
ذلك مظالم ففرع بنو

أمية إلى عمته قاطمة بنت مروان فأنته فقالت له : تكلم أنت يا أمير المؤمنين فقال : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهراً شربهم سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولي عمر فعمل عملهما ، ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ، ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفض الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت : حسبك قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئاً أبداً فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه ، وقد قيل : إنها قالت له إن بني أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له : إنهم يحذرونك يوماً من أيامهم فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا . قال : وقال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما كان سواهم فهم منتزون ، قال : وقال الشافعي مثله ، قال : وكان يكتب إلي عماله بخلال فهي تدور بينهم ، باحياء سنة أو إلقاء بدعة ، أو قسم في مسكنة أو رد مظلمة ، قال : وكانت قاطمة بنت الحسين بن علي تثنى عليه وتقول : لو كان بقي لنا عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعده إلى أحد ، قالت قاطمة امرأته : دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجري على لحيته فقلت : أحدث شيء ؟ فقال : إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والغازي والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير والشيخ الكبير وذو العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وإن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله فخشيت أن لا تثبت حجتني عند الخصومة فرحمت نفسي فبكيت ، قيل : ولما مرض ابنه عبد الملك مرض موته وكان من أشد أعوانه على العدل دخل عليه عمر فقال له : يا بني كيف تجدك ؟ قال أجدني في الحق قال : يا بني أن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك فقال ابنه : يا أبتاه لأن يكون ما تحب أحب الي من أن يكون ما أحب فمات في مرضه وله سبع عشرة سنة .

قيل : وقال عبد الملك لأبيه عمر : يا أمير المؤمنين ما تقول لربك إذا أتيته وقد

تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته ؟ فقال : يا بني إن أجدادك
قد دعوا الناس عن الحق

فانتَهتِ الأمور إلي وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ولكن أليس حسناً وجميلاً أن لا تطلع الشمس علي في يوم إلا أحييت فيه حقاً وأمتُّ فيه باطلاً حتى يأتيني الموت فأنا على ذلك ، وقال له أيضاً : يا أمير المؤمنين انقد لأمر الله وإن جاشت بي وبك القدور فقال : يا بني إن بادعت الناس بما تقول أحوجوني إلى السيف ولا خير في خير لا يحيا إلا بالسيف فكرر ذلك .
قيل : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله نسخة واحدة أما بعد - فإن الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم وضرب الذلة والصغار على من خالفهم وجعلهم خيراً أمة أخرجت للناس فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم فتتسبط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم فإن الله عز وجل يقول : { لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلاً ودُّوا ما عَنَيْتُمْ ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض } (1) والسلام ، فهذا القدر كاف في التنبيه على فضله وعدله .
وفي هذه السنة مات محمد بن مروان في قول : وأبو صالح ذكوان .

ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك

وفيهما تولى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة - وكنيته أبو خالد - بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز ، ولما احتضر عمر قيل له : اكتب إلى يزيد فأوصيه بالأمة قال : بماذا أوصيه ؟ انه من بني عبد الملك ثم كتب إليه أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة إنك تترك ما تترك لمن لا يحمذك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام ، فلما ولي يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة واستعمل عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عليها ، واستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبدالله بن عبيد الأسد المخزومي وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلاً حتى شكى عثمان بن حيان إلى يزيد بن عبد الملك من ابن حزم وانه ضربه حدين وطلب منه أن يقيده منه ، فكتب يزيد إلى
(1) سورة آل عمران 118 .

عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً - أما بعد - فانظر فيما ضرب ابن حزم بن حيان فإن كان ضربه في أمرين أو أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ، فأرسل ابن الضحاك فأحضر ابن حزم وضربه حدين في مقام واحد ولم يسأله عن شيء ، وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا إثماً عاجلاً ، فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجاً مجدداً فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالاعتصار على العشر ونصف العشر وترك ما جدده محمد بن يوسف وقال : لأن يأتيني من اليمن حفنة ذرة أحب إليّ من تقرير هذه الوضعية ، فلما ولي يزيد بعد عمر أمر بردها وقال لعامله : خذها منهم ولو صاروا حرصاً والسلام .

ذكر مقتل شوذب الخارجي

قد ذكرنا خروجه ومراسلته عمر بن عبد العزيز لمناظرته فلما مات عمر أحب

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب - وهو الأمير على الكوفة - أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمناجزة (أ) شوذب - واسمه بسطام - ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر ، فلما رأوا محمداً يستعد للحرب أرسل إليه شوذب ما أعجلكم قبل انقضاء المدة ليس قد تواعدنا إلى أن يرجع الرسولان ؟ فأرسل محمد انه لا يسعنا ترككم على هذه الحال ، فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح فاقتتلوا فأصيب من الخوارج نفر وقتل الكثير من أهل الكوفة وانهزموا ، وجرح محمد بن جرير في إسته فدخل الكوفة وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ثم رجعوا إلى مكانهم ، وأقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدم عليه وأخبراه بموت عمر ، ووجه يزيد من عنده تميم بن الحباب في ألفين قد أرسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد معه وحاربوه فقتلوه وقتلوا أصحابه ولجأ بعضهم إلى الكوفة وبعضهم إلى يزيد ، فأرسل إليهم يزيد نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم يزيد الشجاع بن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وهزموا أصحابه ، وقتل منهم نفر منهم هدبة بن عم شوذب فقال أيوب بن خولي يرثيهم :

(1) في الطبري " بمحاربة "

تَرَكَنا تَمِيماً فِي العُبارِ مُلَحَباً تَنكِي عَليه عِرسُهُ وَقَرائِئُهُ
وَقَد أُسَلِمْتُ قِيسُ تَمِيماً وَمالِكا كَما أُسَلِمَ الشِحاكِ أَمَسِ
أَقارِبُهُ

وَأَقبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايةَ يَغالِبُ أَمَرَ اللّهِ وَاللّهِ عَالِبُهُ
فِيا هُدَبَ لِلهَيْجا وَيَا هُدَبَ لِلندى وَيَا هُدَبَ لِلحَصَمِ الأَلَدَ يُحارِبُهُ
وَيَا هُدَبَ كَم مِنْ مُلجَمِ (1) قَد أَجَبْتُهُ وَقَد أُسَلِمْتُهُ لِلرِماحِ
حَوالِبُهُ

وَكانَ أَبُو شَيبانَ خِيراً مُقاتِلِ يَرجى وَيخشى حَربَهُ (2) مِنْ
يُحارِبُهُ

فَفازَ وَلاقى اللّهِ فِي الخِيرِ كُلِّهِ وَحَدَمَهُ (3) بِالسِيفِ فِي اللّهِ
ضارِبُهُ

تَزَوَّدَ مِنْ دُنِياهِ دِرْعاً وَمِعْفِراً وَعَضْباً حِساماً لَمْ تَخْنُهُ
مَصارِبُهُ

وَأَجَرَدَ مَحْبُوكَ السِراةِ كَأْتَهُ إِذا انْقَضَ وَافِي الرِّيشِ جِجْرُ
مَخالِبُهُ

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة
فشكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب وخوفوه منه ، فأرسل إليه مسلمة
سعيد بن عمرو الحرشي - وكان فارساً - في عشرة آلاف فأتاه
وهو بمكانه فرأى شوذب ، وأصحابه ما لا قبل لهم به فقال
لأصحابه : من كان يريد الشهادة فقد جاءته ومن كان يريد الدنيا
فقد ذهب فكسروا أعماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيداً
وأصحابه مراراً حتى خاف سعيد الفضيحة فوبخ أصحابه وقال :
من هذه الشرذمة - لا أب لكم - تفرون يا أهل الشام يوماً
كأيامكم فحملوا عليهم فطحنوهم طحناً وقتلوا بسطاماً وهو
شوذب وأصحابه .

ذكر موت محمد بن مروان

وفي هذه السنة توفي محمد بن مروان بن الحكم أخو عبد
الملك وكان قد ولي الجزيرة وارمينية واذربيجان ، وغزا الروم
وأهل أرمينية عدة دفعات وكان شجاعاً قوياً وكان عبد الملك
يحسده لذلك ، فلما انتظمت الأمور لعبد الملك أظهر ما في
نفسه له فتجهز محمد ليسير إلى أرمينية ، فلما ودع عبد الملك
سأله عن سبب مسيره فقال :

وإنك لا ترى طرداً لحر كالصاق به بعض الهوان

(1) في الطبري : " ويا هذب كم من ملجم " .

(2) في الطيري "أسه".

(3) حذمه : أي قطعته.

فلو كنا بمنزلة جميعاً جريت وأنت مضطرب العنان

فقال له عبد الملك : أقسمت عليك لتقيمن فوالله لا رأيت مني ما تكره وصلاح له ، ولما أراد الوليد عزله طلب من يسد مكانه فلم يقدم أحد عليه الا مسلمة بن عبد الملك .

ذكر دخول يزيد بن المهلب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك

قيل : وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز على

ما تقدم ، فلما مات عمر وبويع يزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وإلى عدي بن أرطاة يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما هربه ، وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب فأخذهم وحبسهم فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد حتى ارتفع على القطقطانة وبعث عبد الحميد جنداً إليهم عليهم هشام بن مساحق العامري عامر بن لؤي فساروا حتى نزلوا العذيب ، ومر يزيد قريباً منهم فلم يقدموا عليه ومض يزيد نحو البصرة وقد جمع عدي بن أرطاة أهل البصرة وخذق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، وجاء يزيد في أصحابه الذين معه فالتقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع اليه من أهله وقومه ومواليه ، فبعث عدي على كل خمس من أخماس البصرة رجلاً ، فبعث على الأزدي المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، وبعث على تميم محرز بن حمران السعدي ، وعلى خمس بكر مفرج بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالية عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر ، وأهل العالية قريش وكنانة والأزد وبجيلة وختعم وقيس عيلان كلها ومزينة ، وأهل العالية والكوفة يقال لهم : ربع أهل المدينة ، فاقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره فاختلف الناس إليه ، فأرسل إلى عدي أن ابعث إلى اخوتي وإني أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى أخذ لنفسني من يزيد ما أحب فلم يقبل منه ، فسار حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد القسري ، وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهله ، وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه قطع الذهب والفضة فمال الناس إليه ، وكان عدي لا يعطي الا درهمين درهمين

ويقول : لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتي الأمر في ذلك ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرَهَمِينَ تَقُوذُهُمْ (1) إِلَى الْمَوْتِ آجَالٌ لَهُمْ
وَمَصَارِعُ

وَأَكِيْسُهُمْ مِنْ قَرٍ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ (2) وَأَيَقَنَ أَنْ الْمَوْتَ لَا بُدَّ
(3)وَأَقَع

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي فنزلوا المربرد ، وبعث إليهم

يزيد بن المهلب مولى له يقال له : دارس ، فحمل عليهم فهزموهم ، وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بني يشكر وهي النصف فيما بينه وبين القصر فلقه قيس وتميم وأهل الشام واقتتلوا هنيئة وحمل عليهم أصحاب يزيد فانهزموا وتبعهم ابن المهلب حتى دنا من القصر ، فخرج إليهم عدي بنفسه فقتل من أصحابه موسى بن الوجيه الحميري والحريث بن المصرف الأودي وكان من فرسان الحجاج وأشرف أهل الشام وانهزم أصحاب عدي ، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدي الأصوات تدنو والنشاب تقع في القصر فقال لهم عبد الملك : إني أرى أن يزيد قد ظهر ولا آمن من مع عدي من مضر ، وأهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد فأغلقوا الباب وألقوا عليه الرحل ففعلوا فلم يلبثوا أن جاءهم عبدالله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عدي ، فجاء يشدد إلى الباب هو وأصحابه وأخذوا يعالجون الباب فلم يطبقوا قلعه وأعجلهم الناس فخلوا عنهم ، وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل داراً لسليمان بن زياد ابن أبيه إلى جنب القصر وأتى بالسلالم وفتح القصر وأتى بعدي بن أرطاة فحبسه وقال له : لولا حبسك إخوتي لما حبستك ، فلما ظهر يزيد هرب رؤوس أهل البصرة من تميم ، وقيس ، ومالك بن المنذر فلحقوا بالكوفة ولحق بعضهم بالشام ، وخرج المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي نحو الشام فلقي خالداً القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء أراد فسالاه عن الخبر فخلا بهما سراً من حميد وأخبرهما وقال : أين تريدان ؟ فأخبراه بأمان يزيد فقال : إن يزيد قد ظهر على البصرة وقتل القتلى وحبس عدياً فارجعاً (1) في الطبري : " بسوقهم "

(2) في الطبري : " فأحزمهم من كان في قعر بيته " .

(3) في الطبري : " وأيقن أن الامر لا شك واقع " .

فرجعا وأخذا حميداً معهما ، فقال لهما حميد : انشدكما الله أن تخالفا ما بعثتما به فإن ابن المهلب قابل منكما وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء فلا تسمعا مقالته فلم يقبلا قوله ورجعا به ، وأخذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب وجمال بن زحر ولم يكونا في شيء من الأمر فأوثقهما وسيرهما إلى الشام فحبسهما يزيد بن عبد الملك فلم يفارقا السجن حتى هلكا فيه ، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة شيئاً يفرق على أهلها ويمنيهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام ، والجزيرة ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً فساروا إلى العراق وكان مسلمة يعيب العباس ويذمه فوقع بينهما اختلاف فكتب إليه العباس :

ألا نفسي فدَاك أبا سعيد وتقدر عن ملاحاتي وعذلي
فلولا أن أصلك حين ينمى وفرعك مُنتهى فرعي وأصلي
وإني إن رميتك هضت عظمي ونالتني إذا نالتك تبلي
لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يقصرُ منك عن شتمي وأكلي
كقول المرء عمرو في القوافي أريدُ حياتهُ ويريدُ قُتلي

قيل : ان هذه الأبيات للعباس ، وقيل : إنما تمثل بها فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فأرسل إليهما وأصلح بينهما ، وقدم الكوفة ونزلا بالنخيلة فقال مسلمة : ليت هذا المزوني -يعني ابن المهلب لا كلفنا اتباعه في هذا البرد ، فقال حيان النبطي مولى لشيبان : أنا أضمن لك أنه لا يبهر الأرصّة - يريد واضمن انه لا يبرح العرصّة - فقال له العباس : لا أم لك أنت بالنبطية ابصر منك بهذا ، فقال حيان : انبط الله وجهك أسقر أهرم ليس إليه طابيء الخلافة - يريد أشقر أهرم ليس عليه طابيع الخلافة - قال مسلمة : يا أبا سفيان لا يهولنك كلام العباس ، فقال : إنه أهماق -يريد أحمق - .

ولما سمع اصحاب ابن المهلب وصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فبلغ

ابن المهلب فخطب الناس وقال : قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون : جاء أهل الشام ومسلمة وما أهل الشام ؟ هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها إلي وسيفان علي ؟ وما مسلمة إلا جرادة صفراء أتاكم في برابره وجرامقته وجراجمه وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش وأخلاط أو ليسوا بشراً يالمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أعيروني

سواء عدكم تصفقون بها وجوههم وقد ولوا الادبار ، واستوثقوا أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الأهواز وقارس وكرمان ، وبعث إلى خراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم فقال لأهلها : هذا مدرك قد أتاكم ليلة بينكم الحرفي وأنتم في بلاد عافية وطاعة فسار بنو تميم ليمنعوه ، وبلغ الأزدي بخراسان ذلك فخرج منهم نحو ألفي فارس فلقوا مدركاً على رأس المغازة فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا وقد خرج أخوك فإن يظهر فإنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وأحقهم بذلك وإن تكن الأخرى فمالك في أن تغشينا البلاء راحة فإنصرف عنهم . فلما استجمع أهل البصرة ليزيد خطبهم وأخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ، وكان الحسن البصري يسمع فرفع صوته يقول : والله لقد رأيك والياً ومولياً عليك فما ينبغي لك ذلك ، ووثب أصحابه فأخذوا بغمه وأجلسوه ، ثم خرجوا من المسجد وعلى باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول : يا عباد الله ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه فوالله ما رأينا مذ ولوا علتاً إلا أيام عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن والنضر أيضاً قد شهد .

ومر الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون : تدعوننا إلى سنة العمرين فقال الحسن : كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم فلما غضب نصب قصباً ثم وضع عليها خرقة ثم قال : إني قد خالفتهم فخالفوهم ، فقال هؤلاء : نعم . ثم قال : إني أدعوهم إلى سنة العمرين لأن بن سنة العمرين أن يوضع في رجله قيد ثم يرد إلى محبسه فقال ناس من أصحابه : لكأنك راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهله ثلاثاً قد أباحوها لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ؟ ثم خرجوا إلى مال بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها واستارها عليهم لعنة الله وسؤ الدار ، ثم إن يزيد سار من البصرة واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب وأتى واسطاً ، وكان قد استشار من أصحابه حين توجه نحو واسط فقال له أخوه 5 خبيب وغيره : نرى أن نخرج وننزل بفارس فنأخذ بالشعاب والعقاب وندنو من خراسان

ونطاول أهل الشام فإن أهل الجبال يأتون اليك وفي يدك القلاع
والحصون ، فقال :

ليس هذا برأي تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل ، فقال خبيب : إن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون أول الأمر قد قات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها بعض أهلك الى الكوفة وإنما بها عبد الحميد مرتت به في سبعين رجلاً فعجز عنك فهو من خيلك أعجز فسبق إليها أهل الشام وأكثر أهلها يرون رأيك ولأن تلي عليهم أحب اليهم من أن يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني ، وأنا أشير الآن برأي سرح مع بعض أهلك خيلاً كثيرة من خيلك فتأتي الجزيرة ويسيروا اليها حتى ينزلوا حصناً من حصونهم وتسير في أثرهم فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوهم جندك بالجزيرة يقبلون إليك فيقيموا عليهم فيحبسوهم عنك حتى تأتيهم ويأتيتك من الموصل من قومك وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في أرض رخيصة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك قال : أكره أن أقطع جيشي ، فلما نزل واسطاً أيام بها أياماً يسيرة وخرجت السنة.

ذكر عدة حوادث

حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس وكان عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وكان على الكوفة عبد الحميد وعلى قضائها الشعبي ، وكانت البصرة قد غلب عليها ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم . وفيها عزل اسماعيل بن عبيدالله عن افريقية واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فبقي عليها إلى أن قتل على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وفيها توفي مجاهد بن جبر ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة أربع ، وقيل : سبع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة ، وفيها توفي عمار بن جبر ، قيل : وفيها توفي أبو صالح ذكوان ، وفيها توفي عامر بن أكثمة الليثي ، وأبو صالح السمان - وقيل له الزيات أيضاً لأنه كان بيعهما - وأبو عمر وسعيد بن إياس الشيباني وكان عمره سبعا وعشرين ومائة سنة وليست له صحبة ، وفي خلافة عمر توفي عبيدة بن أبي لبابة أبو القاسم العامري .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ذكر مقتل يزيد بن المهلب

ثم إن يزيد بن المهلب سار عن واسط واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والأسراء وسار على فم النيل حتى ، نزل العقر ، وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد بسورا فاقتتلوا فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم فيها ومعهم ناس من تميم ، وقيس من أهل البصرة ممن انهزم من يزيد فنادوا يا أهل الشام الله أن تسلمونا وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك إلى النهر ، فقال أهل الشام : لا بأس عليكم إن لنا جولة في أول القتال ثم كروا عليهم فانكشف أصحاب عبد الملك فانهمزموا وعادوا إلى يزيد ، وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات إلى الأنبار وعقد عليها الجسر فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب ، وأتى إلى ابن المهلب ناس من أهل الكوفة كثير ومن الثغور ، فبعث على من خرج إليه من أهل الكوفة وربع أهل المدينة عبدالله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وعلى ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الأشتر ، وعلى كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن الأشعث ، وعلى تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً المفضل بن المهلب وأحصى ديوان ابن المهلب مائة ألف وعشرين ألفاً فقال : لوددت أن لي بهم من بخراسان من قومي ، ثم قام في أصحابه فحرضهم على القتال ، وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل على أهل الكوفة الأرصاد لئلا يخرجوا إلى ابن المهلب ، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف .

وبعث مسلمة فعزل عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة ، فجمع يزيد رؤوس أصحابه فقال : قد رأيت أن أجمع

اثني عشر ألفاً فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحمل معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته وأمدّه بالرجال حتى أصبح فإذا أصبحت نهضت إليهم في الناس فأناجزهم فإني أرجو عند ذلك أن ينصروني الله عليهم . فقال السמידع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا وقال أبو ربيعة - وهو رأس الطائفة المرجئة ومعه أصحاب له : صدق هكذا ينبغي ، فقال يزيد : ويحكم أتصدقون بني أمية أنهم يعملون ، بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه ، إني لقيت بني مروان فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدراً بن هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة - قالوا : لا نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا ، وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى يزيد والحسن البصري يثبطهم ، فلما بلغ ذلك مروان قام قي الناس يأمرهم بالجدِّ والاحتشاد ، ثم قال : بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي ، ولم يسمِّه ، يثبط الناس ، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبه لظل يعرف أنفه وايم الله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إليه سقاط الابلّة ، وعلوج فرات البصرة أو لأنحين عليه مريداً خشناً . فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم : فقد خالفتكم إذ ذاك إلى ما نهيتكم عنه أمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري وأمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دوني فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا وكف عن الحسن ، وكان اجتماع يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيام فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فعبىء جنود أهل الشام ثم قرب من ابن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانيء الهمداني . وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي وكان مسلمة على الناس .

وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب
وعلى ليسرته المفضل بن المهلب ، فخرج رجل من أهل
الشام فدعا إلى المبارزة فبرز إليه محمد بن

المهلب فضربه محمد فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كفه من حديد فضربه محمد فقطع الكف الحديد وأسرع السيف في كفه واعتنق فرسه فانهمز ، فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه وقد أقبل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا فليليزيد : قد انهزم الناس فقال مم انهزموا هل وإن قتال ينهمز من مثله ؟ فليل له : قالوا احرق الجسر فلم يثبت أحد فقال : قبهم الله بق دخن عليه فطار ، ثم خرج ومعه أصحابه فقال : اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه واستقبله أمثال الجبال فقال : دعوهم فوالله إنني لأرجو أن لا يجمعني وإياهم مكان أبداً دعوهم يرحمهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب ، وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وكان قد أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي - وهو ابن أخي عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الحكم بن أبي العاص والد مروان نسب وهو بواسط - فقال له : إن بني مروان قد باد ملكهم والله فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر فقال : ما شعرت فقال ابن الحكم :
فَعِشْ مَلَكًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا فَإِنْ تَمُتْ وَوَسِيفُكَ مَشْهُورٌ
بِكُفِّكَ تُعَدَّرُ

فقال أما هذا فعسى ، فلما رأى يزيد انهزام أصحابه قال : يا سميدع رأيي أجود
أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم ؟ قال : بلى فنزل سميدع ونزل يزيد في أصحابهما ، وقيل : كان على فرس أشهب فاتاه أت فقال : ان أذاك حبيباً قد قتل فقال لا خير في العيش بعده قد كنت والله أبغض للحياة بعد الهزيمة وقد ازددت لها بغضاً امضوا قدماً ، فعلموا انه قد استقتل فتسلل عنه من يكره القتال وبقي معه جماعة جنسه (ا) وهو يتقدم . فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه ، وأقبل نحو-مسلمة لا يريد غيره ، فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب ، وكان رجل من كلب يقال له : القحل بن عياش فلما نظر إلى يزيد قال : هذا والله يزيد والله لأقتلنه أو ليقتلني فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه ؟ فحمل معه ناس فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً

وعن القحل بآخر رمقه فأوماً إلى أصحابه يريهم مكان يزيد وأنه
هو قاتله وان يزيد قتله .
(أ) في الطبري "جماعة حسنة"

وأتى برأس يزيد مولى لبني مرة ف قيل له : أنت قتلته ؟ قال لا ،
فلما أتى مسلمة

سيره إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن
أبي معيط ، وقيل : بل قتله الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي
ولم ينزل يأخذ رأسه أنفة ، ولما قتل يزيد كان المفضل بن
المهلب يقاتل أهل الشام وما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس
، وكان كلما حمل على الناس انكشفوا ثم يحمل حتى يخالطهم
، وكان معه عامر بن العميث الأزد ي ضرب بسيفه ويقول :
٦٦ قد عَلِمْتُ أمَّ الصبي المولودِ أني بنصلي السَّيفِ عَيْرُ
رَعْدِيدُ

فاقتتلوا ساعة فانهزمت ربيعة ، فاستقبلهم المفضل يناديهم يا
معشر ربيعة الكرة

الكرة والله ما كنتم بكشف ولا لئام ولا لكم هذه بعادة فلا يؤتين
أهل العراق من قبلكم فدتكم نفسي فرجعوا إليه يريدون
الحملة ، فاتى وقيل له : ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبیب
ومحمد وانهزم الناس منذ طويل ؟ فتفرق الناس عنه ومضى
المفضل إلى واسط ، فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا
أحسن تعبى للحرب ولا أغشى للناس منه ، وقيل : بل أتاه أخوه
عبد الملك وكره أن يخبره بقتل يزيد فيستقتل فقال له : ان
الأمير قد انحدر إلى واسط فانحدر المفضل بمن بقي من ولد
المهلب إلى واسط ، فلما علم بقتل يزيد حلف أنه لا يكلم عبد
الملك أبداً فما كلمه حتى قتل بقندا بيل ، وكانت عينه أصيبت
في الحرب فقال : فضحني عبد الملك ما عذري إذا راني الناس
فقالوا : شيخ أعور مهزوم ألا صدقني فقتلت ، ثم قال :
٦٦ ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الحرب بعد

يزيد

فلما فارق المفضل المعركة جاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد
فقاتلهم أبو روبة صاحب المرجئة ساعة من النهار؛ وأسر
مسلمة نحو ثلاثمائة أسير فسرجهم إلى الكوفة فحبسوا بها ،
فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد
بأمره ب ضرب رقاب الأسرى فأمر العريان بن الهيثم - وكان
على شرطته - أن يخرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين فقام
نحو ثلاثين رجلاً من تميم فقالوا : نحن انهزمنا بالناس فابدأوا بنا
قبل الناس فاخرجهم العريان ف ضرب رقابهم وهم يقولون :
انهزمنا بالناس فكان هذا جزاءنا ، فلما فرغوا منهم جاء رسول

بكتاب من عند مسلمة بأمره بترك قتل الأسرى وأقبل مسلمة
حتى نزل الحيرة ، ولما أتت هزيمة يزيد إلى واسط أخرج ابنه

معاوية اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده فضرب أعناقهم منهم عدي بن أرطاة ومحمد بن عدي بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وغيرهم ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب في البحر ، وكان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قندايل أميراً وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى يكون لي أولهم فإن ظفرت أكرمتك وإن كانت الأخرى كنت بقندايل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لانفسهم أماناً وقد اخترتك لهم من بين قومي فكن عند أحسن ظني ، وأخذ عليه العهود ليناصحن أهل بيته إن هم لجأوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان المقدم عليهم المفضل بن المهلب ، وكان بكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلبهم وفي أثر الفل فأدرك مدرك المفضل ومعه الفلول في عقبة فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم اياه فقتل من أصحاب المفضل النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث ؛ وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً .

وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة وهرب حتى انتهى

إلى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب ابن المهلب فطلبوا الأمان فأمنوا ، منهم مالك بن ابراهيم بن الأشتر والورد بن عبدالله بن حبيب السعدي التميمي ، ومضى آل المهلب ومن معهم إلى قندايل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب فردّه وسير في أثرهم هلال بن أحوز التميمي فلحقهم بقندايل فأراد أهل المهلب دخولها فمنعهم وداع بن حميد وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب ، فلما التقوا كان وداع على اليمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدي ، فرفع هلال بن أحوز راية أمان فمال إليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرق الناس عن آل المهلب .

فلما رأى ذلك مروان بن المهلب أراد أن ينصرف إلى النساء
فيقتلهن لئلا يصرن إلى أولئك فنهاه المفضل عن ذلك وقال : إنا
لا نخاف عليهن من هؤلاء فتركهن ،

وتقدموا بأسيا فهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم ، وهم
المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن
يزيد بن المهلب والمهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو
والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم وفي أذن
كل واحد رقعة فيها اسمه إلا أبا عيينة بن المهلب وعمرو بن
يزيد بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا
يرتيل ، وبعث هلال بن أحوز بنسائهم ، ورؤوسهم والأسرى من
آل المهلب إلى مسلمة بالحيرة فبعثهم مسلمة إلى يزيد بن عبد
الملك فسيرهم يزيد إلى العباس بن الوليد - وهو على حلب -
فنصب الرؤوس وأراد مسلمة أن يبيع الذرية فاشتراهم منه
الجراح بن عبدالله الحكمي بمائة ألف وخلق سبيلهم ولم يأخذ
مسلمة من الجراح شيئاً ؛ ولما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر
بقتل يزيد سره لانتصاره ولما في نفسه منه قبل الخلافة ، وكان
سبب العداوة بينهما أن ابن المهلب خرج من الحمام أيام
سليمان بن عبد الملك وقد تضحخ بالغالية فاجتاز بيزيد بن عبد
الملك - وهو إلى جانب عمر بن عبد العزيز- فقال : قبح الله
الدينا لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف
، فسمع ابن المهلب فقال له : بل وددت أن الغالية لو كانت في
جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلي ، فقال له يزيد بن عبد الملك :
والله لئن وليت يوماً لأقتلنك ، فقال له ابن المهلب : والله لئن
وليت هذا الأمر وأنا حي لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف ،
فهذا كان سبب البغض بينهما ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ذكره ،
وأما الأسرى فكانوا ثلاثة عشر رجلاً فلما قدم بهم على يزيد بن
عبد الملك وعنده كثير عزة أنشد :

حَلِيمٌ إِذَا مَا تَالَ عَاقَبَ مَجْمَلًا أَشَدَّ الْعَقَابِ أَوْ عَقَا لَمْ يُتْرَبِ ٦
فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْبَةَ فَمَا تَأْتِيهِ مِنْ صَالِحٍ لَكَ ٧

يكتب

أَسَاؤُوا فَإِنْ تَصَفَّحَ فَإِنَّكَ قَادِرٌ وَأَفْضَلُ حَلْمٍ حَسْبَةَ حَلْمٍ ٨

مغضب

فقال يزيد بن عبد الملك : هيهات يا أبا صخر طف بك الرحم لا
سبيل إلى ذلك

ان الله عز وجل أفادنيهم بأعمالهم الخبيثة ثم أمر بهم فقتلوا ،
وبقي غلام صغير فقال : اقتلونني فما أنا بصغير فقال : انظروا
أنبت فقال : أنا أعلم بنفسي قد احتمت ووطئت النساء فأمر
به يزيد فقتل ، وأسماء الأسرى الذين قتلوا المعارك وعبدالله

والمغيرة والمفضل ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودريد
والحجاج وغسان وشبيب والفضل أولاد المفضل بن المهلب
والمفضل بن قبيصة بن المهلب ، وقال ثابت قطنة يرثي

يزيد بن المهلب :
أبي طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهَمُّ الفؤاد
المُتَيْمًا
أرقتُ ولم تَأرقُ معي أمُّ خالد وقد أرقَّت عيناَي حَوْلًا
مُحَرَّمًا (1)
على هَالِك هَدَّ العشيرة فَقُدُّهُ دَعْتَهُ المنيا فاستجاب
وَسَلَّمَا
على مَلِكٍ بالعقر يا صَاحِ (2) مُجِبَّتْ كِتَابُهُ واستَوَرَدَ
الموت مُعَلَّمًا
أصِيبَ ولم أشهدْ ولوه كنتُ شاهداً تَسْلِيْتُ إن لم يَجْمَع
الحي مَاتَمًا
وفي غير الأيام يا هِنْدُ فاعلمي لِطَالِبٍ وتر نظرة ان
تَلَوَّمَا
فَعَلِّي ان مالت بي الریح مَيْلَةً على ابن أبي ذِبَّانَ (3)
أَنْ يَتَنَدَّمَا
أَمْسَلَمَ ان تَقْدِرَ عليك رِمَاخُنَا نُذِقْكَ بها قيء الأَسَاوِدِ
مَسَلَّمَا
وان نلقَ للعباس في الدهر عثرةً تُكافئه (4) باليوم الذي
كان قَدَمًا
قصاصاً ولم نَعُدْ الذي كانَ قد أتى إلينا وان كان ابنُ
مروان أظلمًا
سَتَعَلَّمُ إن زلت بك التَّعَلُّ زَلَّةً وأظَهَرَ أقوام حياء
مَجْمَعَمَا
مَنْ الظالم الجاني على أهل بيته إذا أَحْصِرَتْ أسباب
أمرٍ وَأَبْهَمَا
وإنَّا لَعَطَافُونَ بالحلمِ بعدمَا نرى الجهلَ من فرط اللئيم
تَكَرَّمَا
وإنَّا لَحَلالُونَ بالتَّغْرِ لا نرى به سَاكِنًا إلا الخميس
العَرَمَرَمَا
نرى أَنْ لِلجيرانِ حقاً وذمة (5) إذا النَّاسُ لم يَزَعُوا لذي
الجارِ مُحَرَّمًا (6)
وإنَّا لَتَقْرِى الضيفَ من قَمَعِ الذرى (7) إذا كان رَفْدُ (8)
الرافدين تَجَشَّمَا
وله فيه مرثيات كثيرة .

وأما أبو عيينة بن المهلب فارسلت هند بنت المهلب إلى يزيد بن عبد الملك في

(1) في الطبري : " محرما " .

(2) في الطبري : " على ملك يا صاح بالعقر " .

(3) أبو ذيان : عبد الملك بن مروان .

(4) في الطبري : " نكافه " .

(5) في الطبري : " حاجاً وحرمة " .

(6) محرما : أي حرمة .

(7) القمع : رأس السنام .

(8) رغد الرافدين : أي عطاء المعطين .

أمانه فأمنه ، وبقي عمر ، وعثمان حتى وبي أسد بن عبدالله القسري خراسان فكتب إليه بأمانهما فقدا خراسان (قطنة) بالنون ، وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي أصيبت عينه بخراسان فجعل عليها قطنة فعرف بذلك ، وهو يشتهر بثابت بن قطبة بالبلاء الموحدة وهو خزاعي وذاك عتكي .

ذكر استعمال مسلمة على العراق وخراسان

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له اخوه يزيد بن

عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فأقر محمد بن عمرو بن الوليد على الكوفة ، وكان قد قام بامر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحرث التميمي فبعث عليها مسلمة بن عبد الرحمن بن سليمان (1) الكلبي ، وعلي شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمي ، فاراد عبد الرحمن أن يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتب الى مسلمة بالخبر فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرطة والأحداث.

ذكر استعمال سعيد خذينة على خراسان لمسلمة

استعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية - وهو الذي يقال له سعيد خذينة - وإنما لقب بذلك لأنه كان رجلاً لينا متنعماً فدخل عليه ملك أبغر وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده قالوا : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خذينة فلقب خذينة ، وخذينة هي الدهقانة ربة البيت ، وكان سعيد تزوج ابنة مسلمة فلهذا استعمله على خراسان .

فلما استعمل مسلمة ، سعيداً على خراسان سار إليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند ، فسار إليها فقدم الصغد وكان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا إلى الصلح ، فخطب شعبة أهل الصغد وويح سكانها من العرب وغيرهم بالجبن وقال : ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع أنة ، فاعتذروا إليه بأنهم جنبهم أميرهم علباء بن حبيب العبدى ؛ وأخذ سعيد عمال عبد الرحمن بن

(1) في الطبري " عبد الرحمن بن سليم .

عبدالله الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ثم اطلقهم ، ثم رفع الى سعيد أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي ولوا ليزيد بن المهلب في ثمانية نفر وعندهم أموال قد أخفوها فحبسهم بقهندزمر ، وحمل جهم بن زحر على حمار وأطاف به فضربه مائتي سوط وأمر به وبالثمانية الذين حبسوا معه فسلموا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فأعفاه ؛ فسلمهم إلى عبد الحميد بن دثار وعبد الملك بن دثار ، والزبير بن نسيط مولى باهلة فقتلوا في العذاب جهم بن زحر وعبد العزيز والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوماً حتى م شفوا على الموت فلم يزالوا في السجن حتى غزاهم الترك والصغد فأمر سعيد باخراجهم وكان يقول : قبح الله الزبير فانه قتل جهماً .

ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب على ما ذكرنا 5 واستعمل على الجيش مسلمة بن عبد الملك أخاه والعباس بن الوليد بن عبد الملك - وهو ابن أخيه - قالوا له : يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وأرجاف وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولا نأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين فيفت ذلك في أعضادنا فلو عهدت إلى عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صواباً ، فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى أخاه يزيد فقال : يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك أخوك أم ابن أخيك ؟ فقال : بل أخي فقال : فأخوك أحق بالخلافة فقال يزيد : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي كما ذكرت قال : فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد- وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه وبعده لابنه الوليد بن يزيد ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد فكان إذا رآه يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

ذكر غزوة الترك

لما ولي سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خذينة ، وكان قد استعمل شعبة على سمرقند ثم عزله فطمعت الترك ، فجمعهم خاقان ووجههم إلى الصغد وعلى الترك كورصول فاقبلوا حتى نزلوا بقصر الباهلي ، وقيل : أراد عظيم من عظماء

الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة كانت في ذلك القصر فأبّت فاستجاش ورجوا أن يسبوا من في القصر ؛ فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وكان على سمرقند عثمان بن عبدالله بن مطرف بن الشخير قد استعمله سعيد بعد شعبة فكتبوا إليه وخافوا أن يبطلء عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة .

وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف

من جميع القبائل وفيهم شعبة بن ظهير وثابت قطنه وغيرهما من الفرسان فلما عسكروا قال لهم المسيب : انكم تقدمون على حلبة الترك عليهم خاقان والعض ان صبرتم الجنة والعقاب ان فررتم النار فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فرجع عنه ألف وثلاثمائة . فلما سار فرسخاً رجع بمثل مقالته الأولى فاعتزله ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف ثم سار فلما كان على فرسخين منهم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : لم يبق ههنا دهقان إلا وقد بايع الترك غيري وأنا في ثلاثمائة مقاتل فهم معد ، وعندني الخبر قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً يكونون رهينة في أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم إليهم قتلوا الرهائن وميعادهم أن يقاتلوا غداً ويفتحوا لهم القصر ، فبعث المسيب رجلين رجلاً من العرب ورجلاً من العجم ليعلما علم القوم فأقبلا في ليلة مظلمة وقد أخذت الترك الماء في نواحي القصر فليس يصل إليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيثة ، فقالا له : اسكت وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فاعلماه بقرب المسيب منهم وقالوا : هل عندكم امتناع الليلة وغداً ؟ قالوا : قد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا حتى نموت جميعاً غداً ، فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه : إني سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه أحد وبايعوه على الموت ، فأصبح وسار وقد ازداد القصر تحصيناً بالماء الذي أجراه الترك ، فلما صار بينه وبين الترك نصف فرسخ نزل وقد أجمع على بياتهم ، فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال : ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولياً وعليكم بالدواب فاعقروها فإنها إذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله ، وجعل على ميمنته

كثيراً الدبوسي ، وعلى ميسرته ثابت قطنة ، وهو من الأزدي فلما
دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم
المسلمون فعقروا

الدواب وترجل المسيب في رجالٍ معه فقاتلوا قتالاً شديداً ، وانقطعت يمين البخترى المرائي فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد ، وضرب ثابت قطنة عظيماً من عظماء الترك فقتله وانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم فإنهم لا يدرون من الرعب اتبعوهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا الا الماء ولا تحملوا إلا من يقدر على المشي ، ومن حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهماً ، وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه فحملوا من في القصر ، وأتى ترك خاقان فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ثم ساروا إلى سمرقند ، ورجعت الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً ورأوا قتلاهم فقالوا : لم يكن الذي جاءنا من الأنس ، فقال ثابت قطنة :

فدت نفسي فوارس من تميم غداة الروع في ضنك
المقام

فدت نفسي فوارس أكفوني على الأعداء في رهج
القتام

يقصر الباهلي وقد رأوني أحامي حيث ضربه (1)
المحامي

بسيقي بعد حطم الرمح قدماً أدودهم بذي شطب
حسام

أكر عليهم اليخوم كراً ككر الشرب آية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى تجلت لا يضيق به مقامي

فلولا الله ليس له شريك وصربي قوتس الملك
الهمام

إذا لعسنت نساء بني دثار أمام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيب في تميم أبي بشر كقادمة الحمام ()

(2)

وعور تلك الليلة معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يد 5 ، وكان
قد ولي ولاية من

قبل سعيد فأخذه سعيد بشيء بقي عليه فدفعه إلى شداد بن
خليد الباهلي ليستأديه فضيق عليه شداد فقال معاوية : يا
معشر قيس سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش

(1) في الطبري " حيث صن به "

(2) وقال جرير يذكر المسيب :

لولا حماية يربوع نساءكم كانت لغيركم منهن
اطهار
حامى المسيب والخيلاان في رهج اذ مازن ثم لا
بحمى لها جار
اذ لا عقال يحامي عن ذماركم ولا زرارة بحميها
وزرار

حديد البصر فعورت وشلت يدي وقاتلت حتى استنقذناهم بعدما أشرفوا على القتل ، والأسر ، والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عني فخلاه، قال بعض من كان بالقصر : لما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همام القوم ، ووقع الحديد ، وصهيل الخيل .

ذكر غزو الصغد

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد ، وكانوا قد نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين فقال الناس لسعيد ، انك وقد تركت الغزو وقد أغار الترك وأعانهم أهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقية الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد : لا تتبعوهم فإن الصغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم ؟ وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبادوكم (1) ، وقال سورة بن الحر ، لحيان النبطي ارجع عنهم يا حيان قال : عقيرة الله لا أدعها قال : انصرف يا نبطي قال : أنبط الله وجهك ، وسار المسلمون فانتهوا إلى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك ، فلما جاءهم المسلمون خرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي فصبروا حتى انكشفوا لهم ، وقيل : بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين فما شعروا إلا والترك قد خرجوا عليهم من غيضة ، وعلى الخيل شعبة بن ظهير فاعجلهم الترك عن الركوب فقاتلهم شعبة فقتل وقتل نحو من خمسين رجلاً وانهزم أهل المسلحة ، وأتى المسلمين الخبر فركب الخليل بن أوس العبشمي أحد بني ظالم ونادى يا بني تميم إليّ أنا الخليل فاجتمع معه جماعة فحمل بهم على العدو فكفوهم حتى جاء الأمير ، والناس فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم حتى ولي نصر بن سيار ثم صارت رياستهم لأخيه الحكم بن أوس ، فلما كان العام المقبل بعث رجالاً من تميم إلى وَرَعَسَر(2) فقالوا : ليتنا نلقى العدو فنطاردهم ، وكان سعيد إذا بعث سرية - فأصابوا وغنموا وسبوا - رد السبي وعاقب السرية فقال الهجري الشاعر :

(1) في الطبري : "أباروكم"

(2) وَرَعَسَر : من قرى سمرقند غدها مقاسم مياه الصغد.

سَرَيْتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَلْهُو بِلَعْبَةٍ وَإِيرُكَ مَسْلُولٌ وَسَيْفُكَ
مُعْمَدٌ
وَأَنْتَ لِمَنْ غَادَيْتَ عِرْسُ حَفِيَّةٍ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ
المهند

فتقل سعيد على الناس وضعفوه ، وكان رجل من بني أسد
يقال له اسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد فذكر اسماعيل
عند خدينة ومودته لمروان فقال خدينة : وما ذاك السلط ؟ (1)
فقال اسماعيل .

رَعَمْتُ خُدَيْتَهُ أَنْبِي سَلَطُ (2) لِخُدَيْتَةِ الْمِرَاةِ وَالْمُشِيطُ
وَمَجَامِرٌ وَمَكَاجِلٌ جُعِلَتْ وَمَعَارِزٌ وَبَخْدَهَا نَقَطُ
أَفْذَاكَ أَمْ رَعَفُ مُصَاعَقَةٌ وَمَهْتَدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُ
لِمُقَرِّسٍ ذَكَرَ أَخِي ثِقَّةً لَمْ يَغْدُهُ التَّانِيثُ وَاللَّقَطُ

في أبيات غيرها .

ذكر موت حيان النبطي

وقد ذكرنا من أمر حيان فيما تقدم عند قتل قتيبة وانه ساد
وتقدم بخراسان ، فلما
قال له سورة بن الحر: يا نبطي وأجابه حيان فقال : أنبط الله
وجهك على ما تقدم أنفاً حقدتها عليه سورة فقال لسعيد خدينة
: إن هذا العبد أعدى الناس للعرب ، والوالي وهو أفسد
خراسان على قتيبة وهو واثب بك يفسد عليك خراسان ثم
يتحصن في بعض هذه القلاع فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً ،
ثم دعا في مجلسه بلبن وقد أمر بذهب فسحق وألقي في اللبن
الذي في إناء حيان فشربه حيان ثم ركض سعيد والناس معه
أربعة فراسخ ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات ، وقيل : إنه
لم يمت هذه السنة ؛ وسيرد ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل مسلمة عن العراق ، وخراسان وولاية ابن هبيرة

وكان سبب ذلك انه ولي العراق ، وخراسان فلم يدفع من
الخراج شيئاً واستحيا
يزيد بن عبد الملك ان يعزله فكتب إليه استخلف على عملك
واقبل ، وقيل : ان مسلمة
(1) في الطبري : " الملط " .
(2) في الطبري : " ملط " .

شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخصوص إلى يزيد ليزوره قال : أمن شوق إليه ان عهدك منه لقريب قال : لا بد من ذلك قال : إذن لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه ، فسار مسلمة فلقية عمر بن هبيرة الفزاري بالعراق على دواب البريد فسأله عن مقدمه فقال عمر: وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب ، فلما خرج من عنده أحضر مسلمة عبد العزيز بن حاتم وأخبره خبر ابن هبيرة فقال : قد قلت لك قال مسلمة : فانه جاء لحيازة أموال ال المهلب قال : هذا أعجب من الاول يكون ابن هبيرة على الجزيرة فيعزل عنها ويبعث لحيازة أموال بني المهلب ولم يكتب معه اليك كتاب ، فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

راحت بمسلمة البغال عشية(ا) فارعى فزارة لا هناك
المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله وأخو هراة لِمثلها
يتوقع

يعني يابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو :
محمدًا ذا

الشامة ، وبأخي هراة : سعيد خدينة .
وأما ابتداء أمر ابن هبيرة حتى ولي العراق فإنه قدم من البادية من بني فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب وكان يقول : لأرجو أن لا تنقضي الايام حتى ألي العراق ، وسار مع عمرو بن معاوية العقيلي إلى غزو الروم فأتي بفرس رائع إلا أنه لا يستطيع ركوبه فقال : من ركبه فهو له فقام عمر بن هبيرة وتنحى عن الفرس وأقبل حتى إذا كان بحيث تناله رجلا الفرس إذا رمحه وثب فصار على سرجه فأخذ الفرس ، فلما خلع مطرف بن المغيرة بن شعبة الحجاج سار عمر بن هبيرة في الجيش الذين حاربوه من الري ، فلما التقى العسكران التحق ابن هبيرة بمطرف مظهرًا أنه معه ، فلما جال الناس كان ممن قتله وأخذ رأسه ، وقيل : قتله غيره وأخذ هو رأسه وأتى به عدياً فأعطاه مالاً وأوفده إلى الحجاج بالرأس فسيره الحجاج إلى عبد الملك فاقطعه ببرزة وهي قرية بدمشق ، وعاد الي الحجاج فوجهه إلى كردم بن مرثد الفزاري ليخلص منه مالاً وأخذه منه وهرب إلى عبد الملك وقال : أنا عائد بالله وبأمر المؤمنين من

الحجاج فإنني ئ شلت ابن عمه مطرف بن المغيرة وأتيت أمير
المؤمنين برأسه ثم رجعت فأراد قتلي
(1) في الطبري " راحت بمسلمة الركاب مودعا ".

ولست آمن أن ينسبني إلى أمر يكون فيه هلاكي فقال : أنت في جوارى فأقام عنده ، فكتب فيه الحجاج إلى عبد الملك يذكر أخذه المال وهربه فقال له : أمسك عنه ، وتزوج بعض ولد عبد الملك بنتاً للحجاج فكان ابن هبيرة يهدي لها ويبرها وييسر عليها فكتبت إلى أبيها تشني عليه ، فكتب إليه الحجاج يأمره أن ينزل به حاجاته ، وعظم شأنه بالشام فلما استخلف عمر بن عبد العزيز استعمله على الجزيرة، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حباة عليه تابع هداياه إليها وإلى يزيد بن عبد الملك فعملت له في ولاية العراق فولاه يزيد، وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خلود العبسي تحاسد فقال القعقاع : من يطيق ابن هبيرة حباة بالليل وهداياه بالنهار، فلما ماتت حباة قال القعقاع :

هلم فقد ماتت حباة سلمني بنفسك يقدمك الذرا والكواهل
أغرك أن كانت حباة مرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

في أبيات ، وكان بينه وبين القعقاع يوماً كلام فقال له القعقاع : يا ابن اللخناء من قدمك ؟ فقال : قدمك أنت وأهلك اعجاز الغواني وقدمني صدور العوالي فسكت القعقاع -يعني ان عبد الملك قدمهم لما تزوج إليهم فإن ام الوليد، وسليمان ابي عبد الملك بن مروان عبسية - .

ذكر بعض الدعاة للدولة العباسية

وفي هذه السنة وجه ميسرة رسله من العراق الى خراسان فظهر أمر الدعاة بها، فجاء عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة فقال له : ان ههنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح وأعلمه حالهم ، فبعث سعيد إليهم فأتي بهم فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار قال : فما هذا الذي يحكى عنكم ؟ قالوا : لا ندري قال : جئتم دعاة قالوا : إن لنا في أنفسنا وتجارنا شغلاً عن هذا فقال : من يعرف هؤلاء فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة ، واليمن فقالوا : نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شيء تكرهه فخلي سبيلهم .

ذكر قتل يزيد بن أبي مسلم

قيل : كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبي مسلم
بأفريقية سنة إحدى

ومائة ، وقيل : هذه السنة ؛ وكان سبب قتله أنه عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج في أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق فانه ردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار ، فلما عزم يزيد على ذلك اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم - وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار وكان عندهم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك أنا لم نخلع أيدينا من طاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك ، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم واقر محمد بن يزيد على عمله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية - وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق - فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً وقتل (1) سبعمائة أسير . وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة (2) وحج بالناس هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك وهو عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، وكان على الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الله (3) بن بشر بن مروان إلى أن عزله عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد خذينة ، وعلى مصر أسامة بن زيد (4) .

(1) في الطبري " وقيل " بالباء المثناة من تحت .

(2) في الطبري " رسالة " وما هنا موافق لما في النجوم الزاهرة ولم أحدهما في المعجم .

(3) في الطبري " عبد الملك بن بشر " .

(4) وممن مات في هذه السنة - على ما حكاه ابن تغرى بردى

- يزيد أبو مسلم كاتب الحجاج وكنيته أبو العلاء وكان على نمط

الحجاج في الحبروت وسفك الدماء أقره الوليد بن عبد الملك

عنى العراق أربعة أشهر لما مات الحجاج قتل في افريقية ،

وعدي بن زيد بن الخمار - بخاء معجمة مضمومة كذا ضبط -

العبادي التميمي الشاعر المشهور وهو جاهلي نصراني من

فحول الشعراء ، ومن شعره:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم

وثمود

أين آباؤنا وأين بنوهم أين آباؤهم وأين الحدود =L
سلكوا منهج المنايا فبادوا وأرانا قد كان منا ورود =C
بينما هم على الأسرة والانماط أفضت إلى التراب =E
الخدود =□
ثم لم ينقص الحديث ولكن بعد ذاك الوعيد =□
والموعود

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر استعمال سعيد الحرشي على خراسان

في هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان ، وكان سبب عزله أن المجشر بن مزاحم السلمي ، وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة فشكوه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو الحرشي - بالحاء المهملة والشين المعجمة - من بني الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكان خذينة بباب سمرقند فبلغه عزله فقفل خذينة وخلف بسمرقند ألف رجل ، وقيل : ان عمر بن هبيرة كتب إلى يزيد بن عبد الملك باسماء من أبلى يوم العقر ولم يذكر سعيداً الحرشي فقال يزيد: لم لم يذكر الحرشي ؟ وكتب إلى عمر بن هبيرة أن ولّ الحرشي خراسان فولاه فقدم بين يديه المجشر بن مزاحم السلمي فقال نهار بن توسعة :

فهل من مبلغ فتیان قومي بأن النبل ريشت كل ريش =7
وان الله أبدل من سعيد سعيداً لا المخنث من قريش =8

وقدم سعيد الحرشي خراسان فلم يعرض لعمال خذينة ، وقرأ زجل عهده فلحن

فيه لقال : صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والأمير منه بريء؛ ولما قدم الحرشي خراسان كان الناس بازاء العدو وكانوا قد نكبوا فخطبهم وحثهم على الجهاد وقال : انكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الإسلام فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال :

فلسنّ لعامر إن لم تروني أمام الخيل نطعن =7
بالعوالي

وأضربُ هامة الجبارٍ منهم بعضب الحدِّ حودث =8
بالصقال

فما أنا في الحروب بمُسْتَكِين ولا أخشن مصاولَةَ =9
الرجال

٦٥ أبى لي والدي من كل ذم وخالي في الحوادث خيرٌ خال

فلما سمع أهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على نفوسهم لأنهم كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة فاجتمع عظامؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا أقيموا واحملوا خراج ما مضى واطمنوا له خراج ما يأتي وعمارة الأرض والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم وأعطوه رهائن، قالوا : نخاف أن لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتي خجنده فنستجير ملكها ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق أنه لا يرى أمراً يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم والذي أشرت به عليكم خير لكم ، فأبوا وخرجوا إلى خجندة وأرسلوا إلى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فأراد أن يفعل، فقالت أمه : لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه فارسل إليهم سيموا رستاقاً تكونون فيه حتى أفرغه لكم وأجلوني أربعين يوماً . وقيل : عشرين يوماً فاختاروا شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة قد خلفه فيهم - فقال : نعم ولا أنا على عقد وجوار حتى تدخلوه وإن أتتكم قبل أن تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب .

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة أغارت الترك على اللان ، وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة(1)، وفيها جمعت مكة ، والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك . وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه ، وعن مكة ، وحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك وكان عامك مكة ، والمدينة ، وكان على العراق عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان الحرشي ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن ، وعلى قضاء عبد الملك بن يعلى . وفي هذه السنة مات الشعبي ، وقيل : سنة أربع ، وقيل : خمس . وقيل : سبع

ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة . وفيها مات يزيد بن الأصم - وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : مات سنة أربع ومائة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، وفيها مات أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، ويزيد بن الحصين بن نمير السكوني ، وفيها توفي ل (أ) في الطبري "رسلة"

عطاء بن يسار- وهو أخو سليمان - (يسار) بالياء المثناة
من تحت والسين المهملة . وفيها توفيت عمرة بنت
عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة الأنصارية وهي ابنة سبع
وسبعين سنة، وفيها توفي مصعب بن سعد بن أبي وقاص ؛
ويحيى بن وثاب الأسدي المنقري ، وعبد العزيز بن حاتم بن
النعمان الباهلي وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة .